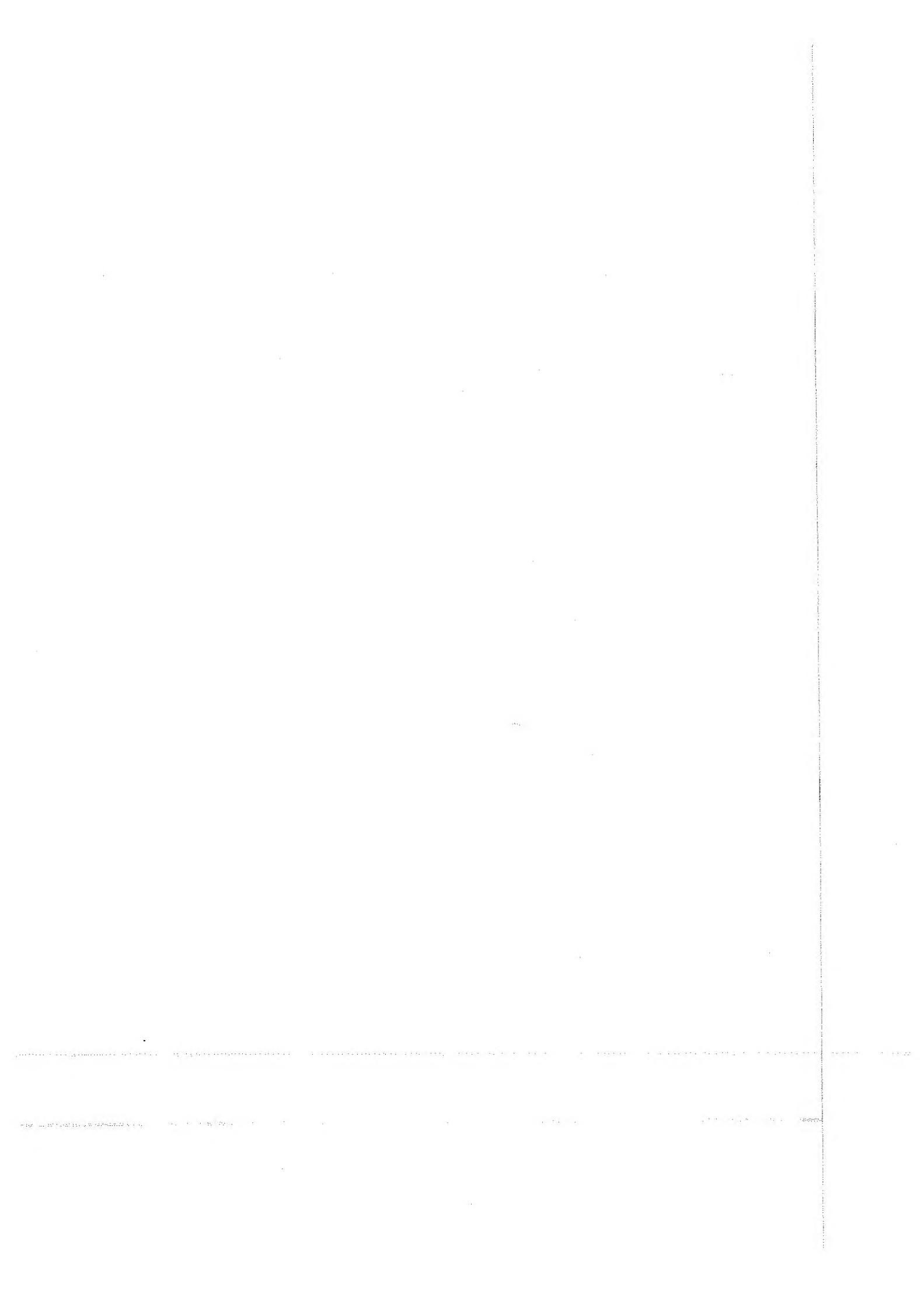


إِفَادَةُ الْمَسْؤُلِ

عَنْ ثَلَاثَةِ الْأَصْوَلِ

تأليف الشيخ

عبدالله بن صالح القصیر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
م٢٠٠٦ - هـ١٤٢٧



المقدمة

الحمد لله على متراوف آلائه، وأشكره تعالى على سبعة نعمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فلا معبد بحق سواه، وأشهد أن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله ورسوله ومصطفاه، الداعي إلى دينه وهداه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبعه إلى يوم لقاء.

أما بعده :

فهذه فوائد نفيسة كنت قد قيدتها بما اطلعت عليه من كلام أهل العلم - رحهم الله تعالى -، وما فتح الله به عليّ وله المُنْ وفضله، فعلقتها على جمل كتاب: «ثلاثة الأصول» للإمام الأولي المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أجزل الله له الأجر والثواب، توضيحاً لمقاصده، وتمييزاً لفوائده.

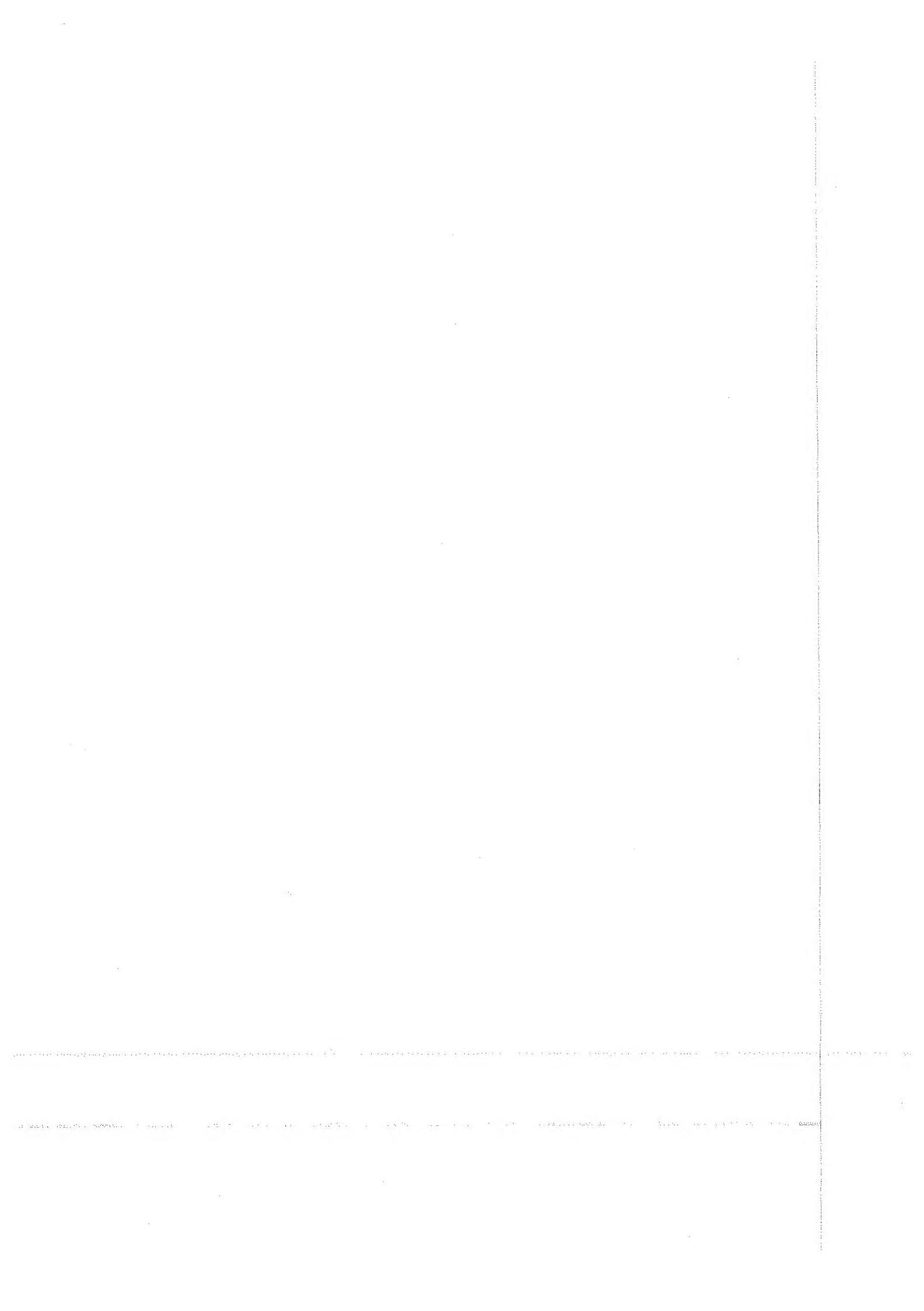
وقد رغب في نشرها من سمعها - حال تدريسي للكتاب -، ومن اطلع عليها من خاصة الأحباب، فأجبتهم لذلك رجاء أن ينفع الله تعالى بها كما نفع بأصلها. جعلها الله خالصة لوجهه، هادية إليه، أمين.

وسمايتها: «إفادة المسئول عن ثلاثة الأصول»، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلـه وصحبه.

المؤلف

الفقير إلى عفو ربه

عبد الله بن صالح القطير



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١)

اعلم رحمك الله^(٢).....

(١) فـأـلـدـة: تشرع البداءة بالبسملة في كل أمر ذي بال اهداء بالقرآن العظيم، وتأسياً بالنبي الكريم ﷺ، والجار والمجرور في **﴿إِنَّمَا﴾** متعلق ب فعل مذوف مقدر متأخر يناسب المقام فإنه أدل على المراد، وقدر فعلاً من أجل أن الأصل في العمل الأفعال، وحذف من أجل البداءة باسم الله تعالى والإفادة الحصر؛ لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

ولفظ الجلالة **﴿الله﴾**: علم على ذات الله تعالى خاص به ولا يسمى به غيره، وأصله مشتق من: **إِلَهٌ إِلَاهٌ**، أي: **عُبُدُ يُعبَدُ عِبَادَةً** فهو إله بمعنى: مألوه، أي: معبد؛ لأنه تعالى هو الإله الحق المعبد بالحق، الذي لا تتبغي العبادة إلا له ولا يستحقها أحد سواه، فهو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

ومعنى **﴿الرَّحِيم﴾**، أي: ذو الرحمة الواسعة التي عممت كل شيء وشملت كل حي. ومعنى **﴿الرَّحِيم﴾**، أي: الذي يرحم من يشاء من خلقه.

و**﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**: اسمان مختصان بالله تعالى لا يطلقان على غيره.

(٢) فـأـلـدـة: قوله: «اعلم»: فعل أمر من العلم، ويؤتى بها عند ذكر الأشياء المهمة لاستدعاء ذهن السامع أو القارئ ليفهم ما سيلقى عليه من الأشياء المهمة، وما سيذكره المؤلف هنا أهم المهامات لأنها من أصول الدين المهمة التي تتوقف عليها صحة الدين وهي شرط قبول العمل، فهي جديرة بأن يهتم بها غاية الاهتمام، ويعتنى بها أشد الاعتناء، ودليل ذلك قوله تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾** الآية.

أنه يجب^(١) علينا تعلم.....

وقول الشيخ - رحمه الله - هنا «رحمك الله»: دعاء للمتعلم بالرحمة، وهي هنا سؤال السالمة من شر الذنوب والفوز بتحصيل المطلوب، وهذا من نصيحة المؤلف رحمه الله وعناية بطلاب العلم وقصده الخير لل المسلمين، وفيه تنبية على:

١- أن العلم لمن ابتعى به وجه الله تعالى في تعلمه والعمل به وتعليمه للناس رحمة من الله تعالى لمن كان كذلك وإنما رحم الله من شاء من عباده بما بعث به إليهمنبيه ﷺ من الهدى ودين الحق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الآية.

٢- أن العلم رحم بين أهله من معلميه ومتلقيه، فعليهم أن يتراحموا به وأن لا يتحاسدوا ويخالفوا ويتهاروا فيه، أو يكتموه عن طالبيه، فإنما يرحم الله من عباده الرحماء، الرحيمين للخلق.

٣- أن أخرى الناس بتحصيل العلم المتم للخشية وإمامه المتدين من رحم به الناس فدعاهم وعلمهم وصبر على أذاهم ابتغاء وجه الله تعالى وسار فيهم سيرةنبيه ﷺ.

(١) **فائدة:** الوجوب حكم شرعي لا بد أن يدل عليه دليل، وقد أخذ الشيخ رحمه الله تعالى وجوب العلم بهذه المسائل الأربع من أدلة كثيرة، خاصة وعامة، كلها متفقة على أنه لا بد من العلم بالله تعالى، وبحقه على عباده وأداء ذلك الحق الذي شرعه إليه على الوجه الذي يرضيه، وهو ما شرعه وعلى الوجه الذي بينهنبيه محمد ﷺ، ومن تمام ذلك هداية عباده إليه بتعريفهم بهم تبارك وتعالى وبحقه عليهم ودعوتهم لأداء حقه بذكر فضله وجزائه بثواب المطاعين وعقاب العاصين في الدارين.

أربع مسائل^(١): الأولى: العلم^(٢)

ولن يقوم عبد بذلك إلا بالصبر على الأذى فيه فدل ذلك على وجوب العلم، والعمل، والدعوة، والصبر، فإن ما لا يتحقق الواجب أو يتم إلا به فهو واجب، وهذا توجيه وجوب تعلم هذه الأربع مسائل.

(١) فائدة: إن هذه المسائل تشمل الدين كله؛ فإنها يتحقق بها التوحيد لله تعالى في القصد، والاستقامة على الشرع، والمتابعة للنبي ﷺ في الكيفية. فتتوقف صحة العمل وقبوله عليها، وهي من أسباب التشبيث في القبر والنجاة من أهوال يوم الحشر، فهي جديرة بالاعتناء لعظم نفعها؛ بل لشدة الضرورة إليها في الدنيا والبرزخ والآخرة.

(٢) فائدة: العلم: ما قام عليه الدليل، وهو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً، ويراد به هنا العلم الشرعي وهو العلم النافع الذي جاء به النبي ﷺ من الهدى ودين الحق.

فالعلم شرعاً: معرفة الهدى – أو الحق – بدليله، وهو المراد بالعلم عند الإطلاق شرعاً – أي: في القرآن والسنة ولسان السلف الصالح –، والعلم الشرعي قسمان:

أـ فرض عين: وأصله ما ضممه المؤلف – رحمه الله – المسألة الأولى – وهو ما لا يسع المكلف جهله – ففرض العين واجب على الذكر والأثنى والحر والعبد – من المكلفين – فلا يعذر أحد بالجهل به فإنه من مراد النبي ﷺ بقوله: «طلب العلم فريضة»، وذلك: كمعرفة أركان الإسلام وأصول الإيمان، وحقيقة الإحسان، والإيمان والتصديق بكل ما أخبر الله به ورسوله إجمالاً. والعلم بما يجب من كيفية العبادات وشروطها

وواجباتها وما يبطلها وما يجب اجتنابه من المحرمات وما يحتاج إليه من المعاملات، ونحو ذلك مما لا يسع المسلم جهله، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب عليه العلم به.

بـ- أما القدر الزائد من العلم على ما يحتاج إليه المكلف فهو من فروض الكفايات وجليل الأعمال الصالحات، فالعلم الشرعي هو ميراث النبوة ووسيلة الجنة وسبيل الاصطفاء وأية الخير والاهتداء، فأسعد الناس دنياً وأخرى أطليهم له وأحفظهم له وأفقهم فيه وأصوبهم وأخلصهم عملاً به وهدى إليه وصبراً لله تعالى وبه عليه وألزمهم له حتى لقاء الله تعالى عليه. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْزَقْنَا الْكِتَبَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا... إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: جَنَّتُ عَدَنَ يَدْخُلُونَهَا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمُوْا﴾، وقال سبحانه: ﴿يَرَفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ الآية.

وصح عن النبي ﷺ قوله: «من يرد الله به خيراً يفقه في الدين»، وقوله ﷺ: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»، وقوله ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

والنصوص في فضل العلم الشرعي والبشرارة لأهله العاملين به بعظيم الأجور ورفع الدرجات وعلى المقامات في الدنيا والآخرة كثيرة لا تحصى، وما ذاك إلا لأن العلم له ثمرات كثيرة وعواقب مباركة على أهله والمجتمع الذي يظهر فيه.

فيه يعرف الله وحقه وفضله، فيخشى ويتقوى، ويعبد ويخلص له في القصد، وبه يعرف النبي ﷺ، وهديه ورحمة الله تعالى به للناس، وبه يعرف حسن

..... وهو معرفة الله^(١)، ومعرفة نبيه محمد ﷺ،.....

الإسلام، وفضل الله به على الخاص والعام، وتودى الحقوق إلى أهلها، وبه يعرف الحلال من الحرام، وبه توصل الأرحام، وبه تتقى الآثام، وبه يحفظ الإسلام ويظهر، وبه تساند الحرمات ويهتدى إلى الكرامات.

وهو نعم الدليل على العمل الصالح، والراغب به بذكر الفضل، والحاصل على الثبات والدوام عليه، وخير معين على الإخلاص لله عز وجل فيه.

(١) فائدة: معرفة الله تعالى هي العلم بتفرده تعالى بالخلق والملك والتدبر، وأنه ذو الأسماء الحسنى والأوصاف العلى المتنزه عن النقص والعيب ومحاثة الخلق فيما هو من خصائصهم ﴿لَيْسَ كُمَثِّلُهُ شَوْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وأنه الإله الحق الذي يجب أن يعبد بالحق، ولا يُشرك به أحد من الخلق ﴿ذَلِكَ يَا أَيُّهَا الَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَنْدُعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

فإن العلم بهذه الأمور يحمل العاقل على تعظيم الله تعالى وخوفه وخشيته ومحبته والإقبال عليه والرغبة إليه وكمال الإيمان به وصدق العبادة والإخلاص له، والبراءة من الكفر به والشرك في حقه، والبراءة من الكافرين والمرشكين، ومن الإصرار على المعصية أو التسويف بالتوبة إليه من التقصير في حقه.

وقد عَرَفَ الله تعالى عباده على نفسه بأمور:

الأول: ما فطرهم عليهم من التعلق به والتوجه إليه والالتجاء إليه وطلبه والطمأنينة إليه فإنهم لو تركوا وفطرتهم لبقوا حنفاء مائلين إليه غير مشركين به ولا متعلقين بسواه.

الثاني: ما أخبرهم به من أسمائه وصفاته وأفعاله الدالة على كمال ذاته ومبaitته لخلوقاته وعظمت شأنه وعز سلطانه وأنه ذو الأولوية والعبودية على خلقه أجمعين.

الثالث: آياته الشرعية والأحاديث الثابتة عن نبيه محمد ﷺ فإنها هادبة إليه دالة على حقه والطريق الذي يرضيه، ومحذرة من السبيل التي تبعد عنه وتجلب لسالكها غضبه وسخطه وعذابه وعقابه.

الرابع: آياته الكونية في الأنفس والأفاق، وتدبره لملائكة وما فيه من الإبداع والاتساق فإنها كلها دالة على علم الله تعالى وحكمته وقدرته وقوته وباعثة على التوكل عليه والثقة به.

الخامس: إنعامه وآلاوه العامة والخاصة والظاهرة والباطنة والتي لا تعد ولا تُحصى فهي دالة على كمال غناه وكرمه وجوده وفضله ورحمته وباعثة على محبته والرغبة إليه وصدق اللجوء وغاية الافتقار إليه.

فهذه الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة تورث العباد العلم بالله تعالى وأنه هو الإله الحق المعبد بالحق وتملاً قلوبهم تعظيمًا لله وإجلالاً وخشية وذلاً ومحبة ورغبة، وخوفاً وريبة، ورجاءً وطمعاً وتصديقاً لأنباءه وإذاعاناً لأحكامه وتعلقاً بالله واستغناءً به عن سواه وبراءة من الحول والقوة إلا بالله.

وكلام الله تعالى هو غاية العلم وفي غاية البيان والوضوح والصدق ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلَا﴾ ﴿١١﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿٨٧﴾، والله تعالى يقول الحق وهو يهدى السبيل.

والرسول ﷺ قد اختاره الله تعالى لتبلیغ رسالته، وبيان ما أنزل إليه من ربه، فاختيار الله تعالى له عن علم به وبكمال أهليته وتمام بيانه ونصرحه وشفقته،

ومعرفة دين الإسلام بالأدلة^(١).

قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حِيثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، وهو ﷺ الموصوف بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

فهو ﷺ في غاية النصح والشفقة وأعلم الخلق وأفضحهم وأنصحهم ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْى﴾.

فكلام الله تعالى و Heidi رسوله ﷺ القولي والفعلي يوصلان إلى أعلى درجات العلم واليقين، وفيهما العلم النافع، ولا سيما في باب الاعتقاد الذي هو أصل الأصول كلها. وكذلك في باب العلم والخلق والمهدى.

(١) فائدة: الأدلة: جمع دليل، وهو ما يحصل به الاهتداء إلى المطلوب، والأدلة على التوحيد والدين والرسالة متنوعة:

أـ ف منها: أدلة سمعية، وهي: الوحي، أي: القرآن، وما أنزل الله تعالى على نبيه محمد ﷺ له من بيان، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَلِيلٌ﴾ الآية، و قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عَنْ دِينِ اللَّهِ الْإِسْلَامِ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِإِيمَنِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الآية، و قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ فَدَّ خَلَّ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَلِكُمْ وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يُضِرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ أَلْشَكِيرِينَ﴾ الآية. وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه».

الثانية: العمل به^(١)، الثالثة: الدعوة إليه^(٢)،

بـ- ومنها: أدلة عقلية ثبت بالنظر والتأمل، مثل الاستدلال على:

١- أن الخالق للخلق هو المستحق للعبادة وحده.

٢- وأن الله تعالى لا بد أن يجعل عباده ديناً يعيدونه به.

٣- أن الله تعالى لابد أن يرسل رسولاً يدعو عباده إليه ويبين لهم كيفية عبادته، فإن هذا هو اللائق بحكمة ورحمته وفضله وعدله.

(١) فائدة: العمل الصالح هو التطبيق الفعلي للعلم وتحقيقه بامتثال الأمر فعلاً، وامتثال النهي تركاً محبة الله تعالى وتعظيمها له، رغبة وريبة هو ثمرة العلم النافع، ومن أعظم أسباب حفظه، والدليل على صحة فهمه ، ومن موجبات الثبات على الأيمان وزيادة الهدى من الرحمن وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الإيمان الجازم والعمل الصالح ويرتب عليهما المثوبة العاجلة والأجلة، أما مجرد المعرفة والإقرار فلم ينفعا إبليس، والقول وحده فإنه لم يجعل فرعون مؤمناً، ولن ينجيه هو والمنافقين من النار.

(٢) فائدة: الدعوة إلى العلم النافع والعمل الصالح هي الدعوة إلى الله تعالى وهي من أسباب حفظ العلم والتثبيت على العمل الصالح، ومن شكر الله تعالى على الإحسان بها، قال تعالى: ﴿وَأَحَسِنْ كَمَا أَحَسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُ﴾ الآية، ومن الدلالة على الخير والدعوة إلى الهدى والإحسان إلى الخلق بهدايتهم إلى الحق.

وقد بشر الله تعالى أهل الدعوة إليه بالفلاح قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِّنَ الْمُمْلَكُونَ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وشهد لهم بأنهم أحسن الناس قوله وأعظمهم صبراً ووعدهم بالحظ العظيم

الرابعة: الضرر على الأذى فيه^(١).....

فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنْ فَوْلًا مِّمْنَ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾ الآية، وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن للداعي مثل أجور من تبعه، وأن هدى رجل بالداعي خير له من حمر النعم.

فإذا من الله تعالى على العبد بمعرفة الحق وقبوله والعمل به؛ فإن دعوة الناس إلى الحق من أسباب الثبات عليه، ومن شكر الله تعالى على نعمته به، ومن الإحسان إلى خلقه، والقيام بحقه، والاجتهداد في طاعته على وفق شرعيه، فبذلك يستزيد العبد من العلم والعمل والخير والفضل، ويتحلى بتقوى الله عز وجل ويكون من أهل الإحسان الموعودين بالإحسان من الرحمن.

(١) فائدة: الصبر لغة: الحبس، وشرعًا: حبس النفس على موافقة الشّرع، أي: حبس النفس على طاعة الله تعالى فلا تملها وتركتها، وعن معصية الله فلا تتجرأ عليها وترتكبها، وعلى الأقدار المؤلمة والمصائب المحسنة فلا تسخطها، فتحبس النفس عن الجزع والتسخط، وتحبس اللسان عن أقوال أهل الجاهلية، وعن الشكوى لغير الله، وتحبس المخواجع عنها يخالف الشرع، فالصبر على هذا النحو من أعظم مقامات الدين وأقوى عُدد العاملين.

وقد ذكره الله تعالى في القرآن في أكثر من ثمانين موضعاً، ويكتفي في بيان فضله وعظم ثمرته ومثوبته قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وقوله ﷺ: «واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً»، وقوله ﷺ: «ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»، وقال علي رضي الله عنه: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد»، وقال: «لا إيمان لمن لا صبر له».

والدليل قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١)

والداعي إلى الله تعالى يدعوا الناس - غالباً - إلى خلاف أهوائهم فلابد أن يناله من سفهائهم والمستكبرين منهم من الأذى ما يحتاج معه إلى الصبر يتغير به وجه الله تعالى ويستعين به على دعوته، قال تعالى: ﴿أَسْتَعِينُوا بِالصَّابِرِ وَالصَّلَوةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، والله تعالى يحب الصابرين، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «واعلم أن النصر مع الصبر»، فإذا رزق الله العبد الإخلاص والبصيرة بأسباب القبول والنصر والإماماة في الدين ولسان الصدق في الآخرين فليحمد الله على آلاهه وليصبر له على بلائه وليبشر بلطافة الله تعالى به في قضائه، فإنه بالصبر مع اليقين تناهى الإمامة في الدين ويتتحقق النصر والتمكين وتبلغ الدرجة العالية عند رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدِونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِإِيمَانِنَا يُوقَنُونَ﴾.

(١) **فائدة:** المراد آمنوا بقلوبهم وأسلتهم وعملوا الصالحات بقلوبهم وجوارحهم فإنه لا إيمان بلا عمل لأن الإيمان بالقلب واللسان والجوارح فإن الإيمان باطن والقول والفعل والحال أدلة ظاهرة عليه.

والعمل الصالح: هو فعل الطاعات وترك المنهيات على وفق الشرع وعلى وجه الإخلاص لله تعالى والتوصي بالحق والتوصي بالصبر من العمل الصالح ولكن لعل في تخصيصها بالذكر تنبيةً على العناية بها لأن كثيرين من الناس يتهاونون بها أو لأنها من أسباب ظهور الحق لمبتغيه وهداية عباد الله تعالى إليه وتشييه الداعي والمهتدين عليه.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ (١) وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ .

(١) فائدة: في المراد بالحق: أصل الحق المطابقة والموافقة – في الواقع – فهو كل موجود محقق أو ما سيوجد لا محالة فهو مالا يسع إنكاره ويلزم إثباته والاعتراف به لقيام الدليل والبرهان عليه، ويطلق الحق على أوجه:

الأول: الحق في الأسماء الحسنى معناه الموجود الواجب الوجود بالبقاء الدائم الجامع للخير والمجد والمحامد كلها والثناء الحسن بالأسماء الحسنى والصفات العلي، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الْأَضَالِلُ فَأَنَّ نُصرَفُونَ ﴾.

الثاني: لما وجد بمقتضى الحكمة وهذا يقال فعل الله تعالى كله حق قال تعالى: ﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

الثالث: الاعتقاد المطابق لما عليه الشيء نفسه، كما قال تعالى: ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ﴾.

الرابع: الفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب، قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يَؤْمِنُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَلَكِنْ حَقُّ الْقَوْلِ مِنِي لَأَمَلَّنَ جَهَنَّمَ مِنِ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾.

الخامس: وصف دين الله تعالى وشرعه وأمره كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَأْتِيُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌ وَمَا أَنْتُ بِمُعْجِزِي ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ ﴾.

والإيمان الكامل بآلله تعالى يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، فإنه يتضمن:

- أ- الإقرار بوجود آلله جلّ وعلا واعتقاد تفرده في ملكه وتدبيره بأفعاله.
- ب- وكماله في ذاته وأسمائه وأوصافه، وتتزهه عن كل عيب ونقص وعائمة الخلق فيما هو من خصائصهم. وتصديق أخباره والإذعان لأحكامه.
- ج- وعبادته وحده لا شريك له وترك عبادة من سواه، والبراءة من كل معبد سوى آلله، وهذا التوحيد هو الحكمة من خلق الجن والإنس وهو الذي خلقت الجنة والنار من أجله وهو خلاصة الرسالات الإلهية وزبدة الكتب السماوية. والغاية من فرض التعليم، والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل آلله، قال تعالى:

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكَفِيلٌ﴾ الآية، وقال تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**، وقال سبحانه: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا إِنَّا نَعْبُدُونِ﴾** الآية، وقال سبحانه: **﴿الرَّحِيمُ أَحْكَمَ اِنْتِهِمْ فُصِّلَتِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾** **﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَهٌ إِنَّمَا إِنَّمَا لَكُمْ مِنْهُ نِذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾**.

وأخبر سبحانه أن الأمر بعبادة آلله وحده مفتتح دعوة كل رسول لقومه، كما قال نوح لقومه: **﴿يَا قَوْمَ اَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنَقَّوْنَ﴾** **﴿٢١﴾**، ولما بعث الله تعالى خاتم الأنبياء ورسله محمدًا **ﷺ** قال لقومه: «قولوا لا إله إلا الله»، وقال **ﷺ**: «اعبدوا الله واتركوا ما يعبد آباءكم»، ولما بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن قال له: «فليكن أول ما تدعوههم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»، وفي رواية: «أن يوحدوا الله».

وهذا يبين عظمة شأن هذا التوحيد الذي هو إفراد الله تعالى بالإلهية والعبادة وترك الشرك به – وضرورة معرفته – وصرف الهمة إليه والعمل به والتمييز بينه وبين ضده – الذي هو الشرك –، وأن هذا التوحيد أصل الدين، وأساس الملة، وقاعدة الشريعة، وأول فرائض الدين وأعظم واجب على المكلفين، ومن شروط قبول العمل من المكلفين فلا يدعى إلى شيء قبله ولا تصح العبادة إلا به، والموحد أسعد الناس بالشفاعة، ولا يخلد في النار ولو دخلها، ومنتها الجنة ولو تأخر عنها.

وما يبين أهميته وفضله – زيادة على ذلك – أمور:

أولاً: أن النبي ﷺ أقام بمكة عشر سنين يدعوا إليه؛ فلم تفرض عليه فريضة سواه والدعوة إليه.

ثانياً: ثم بعد فرض الفرائض كان جل اهتمامه ﷺ وأكثر بيانه وعناته بالتوحيد بالأمر بالإخلاص لله تعالى والنهي عن الشرك والتحذير من: أنواعه، وذرائعه، ومواطنه، وأهله؛ حتى ساعة وفاته كان ﷺ يقول: «العنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور الأنبيائهم وصالحيهم مساجد، يحذر ما صنعوا»؛ لأن الغلو في الصالحين، وبناء المساجد على قبورهم من أعظم وسائل الشرك المضاد للتوحيد والمحبطة للعمل.

ثالثاً: أنه لا يكف عن قتال الكفار والمرجفين – مع القدرة – حتى يقولوا لا إله إلا الله – أي لا معبد بحق إلا الله وينخلصوا العبادة لله – فلا بد أن يقرروا به إقراراً يقتضي العمل بمقتضاه، وحتى يعطي أهل الكتاب والمجوس الجزية عن يد وهم صاغرون.

رابعاً: أن من اعتقاد التوحيد وعمل به ومات متمسكاً به دخل الجنة. ولو لم يصلى لله ركعة إذا كان لم يتمكن منها بين إسلامه وموته لكونه أسلم ثم مات قبل دخول وقتها كما في قصة صاحب الغنم في غزوة خيبر فإنه آمن بالنبي ﷺ ثم قاتل واستشهد في أول المعركة ولم يسجد لله سجدة لأنَّه قُتل بعد إسلامه بوقت قصير قبل دخول وقت الصلاة وأخبر النبي ﷺ: «أنَّه من أهل الجنة»، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما.

فالدعوة إلى التوحيد قبل كل أمر، ومع كل أمر، ولا يجوز أن تكون بعد كل أمر. ويدل على ذلك أنَّ رسل الله عليهم الصلاة والسلام لما بعثهم الله إلى أقوامهم عالجوا أموراً متنوعة من مشاكل الأمم لكن كانت العناية بالتوحيد قبلها ومعها لا بعدها، فمثلاً:

١ - نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهُمْ، يقول لهم: «أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ» ﴿٢﴾ ويأبون معاندين قائلين: «لَا تَذَرُنَّ إِلَيْهِنَّ كُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًا وَلَا سُوَاعًا» الآيات، حتى أخذهم الطوفان وهم ظالمون وأنجاه الله وأصحاب السفينة.

٢ - وإبراهيم عليه السلام يقول لقومه: «أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» ﴿٦﴾ إنما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَنَا وَخَلَقُونَ إِفْكًا» الآيات، ويردون دعوته قائلين: «حَرَّقُوهُ وَأَنْصُرُوا إِلَيْهِنَّ كُمْ فَعِلِّيَنَّ» ﴿٧﴾، فأنجاه الله وأصلاح له ذريته وجعل النبوة والكتاب في ذريته وأتاه الله أجره في الدنيا، وإنَّه في الآخرة لمن الصالحين.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: «لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكتفهم»^(١)، وقال البخاري رحمه الله تعالى: «باب العلم قبل القول والعمل،

٣- شعيب عليه الصلاة والسلام كان مما دعا قومه إليه الإصلاح الاقتصادي وكانت الدعوة إلى التوحيد مفتوحة دعوته وطول مدة دعوته حتى حكم الله بينه وبين قومه.

٤- ولوط عليه الصلاة والسلام كان من أسس دعوته الدعوة إلى الانضباط الأخلاقي الفطري الشرعي ونهى عن الشذوذ الجنسي وكانت الدعوة إلى التوحيد أول مهامه ومدة حياته.

٥- وموسى عليه الصلاة السلام كان من أهم مطالبه من فرعون رفع الجور والظلم عن بنى إسرائيل وكانت الدعوة إلى التوحيد أظهر شيء في دعوته وأطول ما كان من مناظراته.

وخاتم النبيين و المرسلين محمد ﷺ أغري قومه في استرداد المكانة السياسية وإصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وكانت الدعوة إلى التوحيد أول وأوجب شيء دعا إليه، وأعظم ما جاهد عليه وأظهر شيء عرف به وتصلب فيه لأنه أعظم موجب للعزّة والكرامة والسعادة في الدنيا والآخرة.

(١) **فائدة:** إنما كانت كافية لأنها بينت أسباب الربح والخسران، فالناس قسمان:

أ- رابحون وهم من آمن بالله عن علم صحيح وعمل صالح به وأوصى بالحق نفسه وغيره وصبر على ذلك: ووصى به غيره فهذا هو الرابع المفلح في الدنيا والآخرة.

بـ- قسم خاسرون وهم الذين أعرضوا فلم يهتدوا ولم يؤمنوا ولم يعملوا صالحاً فخسروا خسارة الأبد.

فقد اشتملت هذه السورة الكريمة على قصرها على التحذير من موجبات الخسران والتنبيه على أسباب الفلاح والفوز بعظيم الأرباح في الدنيا والآخرة، وهي:

الأول: الإيمان ويشمل كل ما يقرب إلى الله تعالى ويحمل على الإخلاص له من علم نافع واعتقاد صحيح وقول سديد وعمل صالح، وخلق حميد.

الثانية: العمل وهو التقرب إلى الله تعالى بكل قول أو فعل أو حال مما شرعه الله تعالى وأباحه وبينه النبي ﷺ وحث على إخلاصه.

الثالث: التواصي بالحق وهو فعل الخير والتحث عليه والترغيب فيه.

الرابع: التواصي بالصبر على طاعة الله تعالى وعن معصيته امثلاً لأوامره واجتناباً لنواهيه رغبة ورهبة وما يدخل في التواصي بالصبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله على الوجه المشروع فإن بها الصلاح والنصر والتمكين والفضل كما نبهت على أسباب الخسران وهي:

أـ- الإعراض عن العلم والإيمان الصحيح.

بـ- ترك العمل الصالح - القاصر على نفس العامل، والمتعدي إلى غيره -.

جـ- ترك التواصي بالحق والصبر.

وتضمنت سورة العصر على قصرها التنبيه على أسباب الربح وموجبات الخسران في الدنيا والآخرة، حيث أفادت أن جنس الإنسان خاسر إلا من

والدليل قوله تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ»، فبدأ بالعلم قبل القول والعلم^(١).

اتصف بالإيمان الصحيح المبني على العلم الصحيح والعمل الصالح ومنه التواصي بالحق وهو الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة وتعليم العلم النافع والتواصي بالصبر على الأذية والتعب في سبيل ذلك فمن أوصى نفسه وغيره به، وتحقق بذلك فقد فاز بالفلاح وعظيم الأرباح ومن نقص من ذلك تعرض للخسران بحسب حاله. ومن أعرض عن ذلك أو أتى بما يبطله فاته الفلاح وخسر رأس امال وجميع الأرباح ولن يجديه الندم والصياح، قال تعالى عن أهل النار: «وَهُمْ يَضْطَرُخُونَ فِيهَا رَيْنًا أَخْرِجَنَا نَعْمَلْ صَلِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أَوْلَمْ نُعَمِّرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ الْنَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيبٍ».

(١) فائدة: أمر الله تعالى أولاً بالعلم بالتوحيد لأنه أصل القول والعمل، ثم بالعمل الصالح به لأنه ثمرة العلم، والدليل عليه ومن أسباب التثبيت عليه والهداية لثله، ومنه أن يستغفر للذنبه وللمؤمنين والمؤمنات.

اعلم - رحمك الله - أنه يجب على كل مسلم و مسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل^(١)، والعمل بهن:

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

(١) فائدة: وإنما وجب تعلم هذه المسائل الثلاثة؛ لأنه:

أ- بالعلم بالمسألة الأولى تعرف الحكمة من الخلق، وهي العبادة التي هي الوظيفة الواجبة على المكلفين وتحقيقها بطاعة الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه رغبة وريبة، وثواب طاعته الجنة، وعقاب معصيته النار. فالعبادة في هذه الحياة الدنيا هي علامة الاصطفاء وأية السعادة في الدنيا والأخرى، وتركها والاستكبار عنها من علامات الشقاوة في العاجلة والأجلة.

ب- والعلم بالمسألة الثانية يعرف خطرا الشرك على العبادة فإن العبادة حق لله تعالى لا يرضى أن يشرك معه فيها غيره كائناً من كان، والشرك يبطل العبادة ويحيط العمل؛ فإنه أعظم ذنب عصى به الله عز وجل.

ج- وبالعلم بالمسألة الثالثة بعلم ضرورة التمييز بين أولياء الله وأعدائه فيجب على أولياء الله المؤمنين أن يحبوا ويوالوا إخوانهم في الدين وأن يغضوا ويعادوا من كفر وأشرك بالله عز وجل، وأن يحذروا موالة الكافرين والشركين المحاربين لله ورسوله حتى يتميز الحق وأهله عن الباطل وأهله.

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾^(١).

(١) فائدة: فتضمنت هذه المسألة أمرين:

الأول: أن الله تعالى وحده هو الذي خلقنا فأحسن خلقنا وهيأنا وهدانا لما خلقنا له ورزقنا لحكمة عظيمة: هي أن نعبده - بما شرع وعلى الوجه الذي شرع - وحده لا شريك له ففعل سبحانه وتعالى أمرين هما: الخلق والرزق؛ لنفعل نحن أمراً واحداً هو عبادته وحده، وهو تعالى غني عنا وعن عبادتنا ولكنه تعالى أمرنا بعبادته ليسعدنا في الدنيا والأخرى؛ لأن عبادة الله تعالى سعادة في العاجلة ورفعة عند الله جل وعلا في الآخرة. فإن من عبد الله تعالى في هذه الدنيا بما شرع وعلى الوجه الذي شرع كان أهلاً لجاورة الله تعالى في الآخرة في الجنة دار رحمته وموضع كرامته ومثوبته ف العبادة الله تعالى وفق شرعيه في الدنيا دليل على اختيار الله تعالى للعبد عن علم ليكون من مجاوريه في الآخرة أهل جنته وكرامته في الآخرة، وتركها دليل أن تارك العبادة ليس أهلاً للكرامة بل هو جدير بالعذاب والإهانة. فالعبادة علامة الاجتباء ومعيار الاصطفاء.

الثاني: أنه تعالى لم يتركنا هملاً لا ندرى كيف نعبده أو نعبده بأهوائنا وأمزجتنا أو استحسان غيرنا؛ بل أرسل إلينا رسولاً يبلغنا ديننا الذي شرعه الله لنا لنبعده به، ولبيين لنا كيفية عبادته ويكون قدوة لنا في تحقيق عبادته، فالعبادة على وفق الشرع تحقق الفرقان بين عباد الرحمن وعباد الشيطان، ويتميز الأبرار أهل الجنة عن الفجار أهل النار، فمن أطاع الرسول واتبعه دخل الجنة، ومن

الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته^(١)،.....

أعرض عنه وعصاه دخل النار، فببعثة الرسول وببيانه قامت الحجة واتضحت المحجة وزالت المعذرة، واستحق المثوبة والعقوبة، ووجب العمل.

(١) فائدة: تضمنت هذه المسألة أن العبادة حق لله تعالى لا يرضى أن يكون شيء منها لغيره فالعبادة والشرك ضدان لا يجتمعان فلا يجتمع شرك وعباده فإن الشرك حدث في العبادة يبطلها، فكما أن الحدث يبطل الطهارة فلا طهارة مع الحدث فكذلك لا عبادة مع الشرك لأنه يحيطها ويذهب أجرها والثواب عليها قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشَرَّكُوا لَحِيطًا عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وفي الحديث القدسي الصحيح قال تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري فهو للذي أشرك وأنا منه بريء»، فمن أشرك بالله بدعاء غير الله معه أو الذبح أو النذر لغير الله فهو كمن رکع أو سجد لغير الله، فهو مشرك كافر مرتد عن الإسلام لا يقبل الله قوله وعمله ولا يغفر له إلا أن يتوب فإن مات على الشرك الأكبر فجزاؤه ما أخبر الله به بقوله: ﴿إِنَّمَا مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أَنْوَهَهُ أَلَّا أَرْأَى وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وهذا دليل على خطورة الشرك وشؤمه، وعظم تحريمها، وأنه أفسد شيء للعبادة، وأشأم شيء على العباد.

وينقسم الشرك بالله عز وجل إلى قسمين:

الأول: شرك يتعلق في الاعتقاد والقول، وهو نوعان:

أ- شرك التعطيل: وهو تعطيل الله تعالى من صفات كماله ونوعت عظمته وجلاله وذلك تشبيه له بالمعدومات وهو شرك المعطلة من الجهمية

والمعزلة وغيرهم، ولذا قال أهل السنة والجماعة عنهم: المعطل يعبد عدماً.

بـ- شرك التمثيل: وهو تمثيل الله تعالى بخلقه في أسمائه وصفاته وهو شرك المثلة من الرافضة ونحوهم، ولذا قال عنهم أهل السنة والجماعة: الممثل يعبد وثناً.

والكل من الطائفتين: معرض عن العلم والفهم، قائل على الله تعالى وفي دينه بغير علم.

الثاني: شرك يتعلق بالعمل، وهو أنواع:

أـ- الشرك في الدعاء: بأن يدعوا مع الله غيره، ودليله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّنَّهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشَرِكِكُمْ وَلَا يُنِيبُكُمْ مِثْلُ خَيْرٍ﴾.

بـ- الشرك في المحبة: بأن يحب غير الله تعالى من دونه، أو معه فيسويه بالله تعالى في المحبة فإن المحبة تحمل المحب على الذل والانقياد للمحوب في تحقيق مراده من محبه، ودليله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّدَادًا يُجْبِلُهُمْ كَهْبٌ أَنَّهُمْ أَشَدُّ جُبًا لِلَّهِ﴾ الآية. وأخبر تعالى عن المشركين أنهم يقولون لشركائهم نادمين متحسرين وهم في الجحيم: ﴿تَالَّهُ إِن كُنَّا لِفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾﴾، أي: في المحبة والعبادة.

لا ملك مقرب، ولانبي مرسل. والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسِيحَدِلِّيَ فَلَا
تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١).

ج- الشرك في الطاعة والتشريع: ودليله قوله تعالى: ﴿أَنْخَذُوا أَحْبَارَهُمْ
وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُوْبِنَ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَ مَرِيكَمْ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا
لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾ الآية، وقوله ﷺ لعدي
بن حاتم - رضي الله عنه - : « أليسوا يحلون ما حرم الله فتحلونه
ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ قال: بلى، قال: فتلك عبادتهم ... »
الحديث.

د- شرك الإرادة والقصد: وهو أن يتغى بشيء من حق الله تعالى الذي يجب
أن يخلص له منزلة أو محمدته عند الخلق أو عرضاً من أعراض الدنيا،
ودليله قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَهَا نُوقَتُهُمْ أَعْمَلَهُمْ
فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسِنُونَ﴾ الآية، والمعنى: ي يريدون الحياة الدنيا وزينتها
بعمل الآخرة.

(١) **فائدة:** من وجوه استحقاقه سبحانه وتعالى للعبادة ووجوب الإخلاص له
وحده لا شريك له:

أولاً: أن الله تعالى هو الذي خلق المكلفين للعبادة، وأمر خلقهم الله تعالى من
أجله لابد أن يتحققوا وإلا كانوا أهلاً للعذاب قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا
وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾.

ثانياً: أن الله تعالى أعلم بما يصلح العباد وأرحم بهم من كل أحد فما أمرهم إلا
بما ينفعهم ولا نهاهم إلا مما يضرهم فعبادته تصلحهم ومعصيته تفسدهم.

الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب^(١).

ثالثاً: أن الله تعالى لم يأمر العباد ولم ينهم حاجة منه إليهم بل هو غني عنهم وإنما أمرهم ونهاهم رحمة ورأفة بهم لتهيئتهم لسعادة الأبد.

رابعاً: أن عبادتهم له سبحانه مفضل منه عليهم لأنه هو الذي خلقهم وهياهم لما خلقهم له وهذا لهم وأعوان من أطاعوه فثواب طاعتهم له فضل منه عليهم وهم يتحملون شؤم معصيتهم فمن أثابه الله بفضله ومن عاقبه بعده.

خامساً: أنه سبحانه هو المنعم بإرسال الرسل وإنزال الكتب وشرح الصدر للإسلام وهو المنعم بإيجاد الإرادة والقدرة والحواس وغير ذلك من القوى التي يتحقق بها العمل فهو تعالى الدال على المدى والمرغب فيه والمعين عليه.

سادساً: أن نعم الله على العباد أعظم من أن تخصى فلو قدر أن العبادة جزاء النعمة لم يقوموا بشكر قليل منها فكيف والعبادة من نعمه على عباده.

سابعاً: أن العباد لا يزالون مقصرین في حقه محتاجين إلى عفوه ومغفرته، فلن يدخل الجنة أحد بعمله، وما من أحد إلا وله ذنوب يحتاج فيها إلى مغفرته: «وَلَوْ يُؤَاخِذَ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهِيرَهَا مِنْ دَآبَكَهُ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمٍّ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يُعْلَمُ بِصَدِرِهِ».

فمن ظن أنه قائم بما يجب لله تعالى عليه وأنه غير محتاج إلى مغفرة ربه وهدايته وتبنيته وتوفيقه فهو ضال.

(١) تضمنت هذه المسألة أنه لا بد للمؤمن الذي هداه الله للإسلام وعصمه من الشرك لكي يثبت على دينه ويبرهن على صدق حبه وتعظيمه لربه وخوفه

والدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَحْدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْعُلُهُمْ جَنَّتٌ بَخْرٌ مِّنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وخشيته منه وحتى يأمن من الفتنة والزيغ أن يبرأ من الشرك وأهله بعد إقامة الحجة عليهم، ولا يرضى الله لعباده المؤمنين أن يوالوا المشركين بالمحبة والنصرة والرضا بما هم عليه من الباطل، فإن الله تعالى نهى المؤمنين أن يتخدلا عدوه وعدوهم أولياء ونهاهم عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ونفى الإيمان عنمن يوالى من حاد الله ورسوله، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَوَهَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.

اعلم - أرشدك الله لطاعته - أن الحنيفة^(١) ملة إبراهيم: أن تعبد وحده مخلصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾^(٢).

(١) فائدة: في معنى الحَنَفُ والحنيفية:

الحنفُ لغة: الميل، وشرعًا: هو الميل عن قصد على طريق الاستقامة - بذرم التوحيد وترك الشرك والبراءة منه ومن أهله -، ولما كان أكثر الناس على الضلال صار الذي على التوحيد كأنه مائل عنهم فصار حنيفاً لاستقامته على التوحيد، والحق أنهم هم الذين مالوا عن فطرة الله التي فطر الناس عليها والشريعة التي هداهم إليها.

فالحنيفية ملة إبراهيم يجمعها أمران:

الأول: أن تعبد الله مخلصاً له الدين.

الثاني: أن تبرأ من الشرك والشركين.

(٢) فائدة: العبادة لغة: هي الذل والانقياد والتطامن والخضوع.

والعبادة شرعاً تعرف بأحد اعتبارين:

أ- باعتبار العابد: فهي كمال الذل مع كمال الحب الذي ينشأ عنها الخضوع والانقياد الاختياري لامثال أوامر الله تعالى حباً له ورغبة في ثوابه واجتناب نواهيه عز وجل هيبة وتعظيمها له سبحانه وحذرًا من عقابه.

ب- باعتبار المعبد به: فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ومعنى «يعبدون»: يوحدون، وأعظم ما أمر الله به: التوحيد^(١)، وهو إفراد الله بالعبادة.

وإنما سمي وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنها تؤدي الله تعالى على وجه المحبة والانقياد والذل لله تعالى رغبة في ثوابه، ورهبة من عقابه، فيخاف العبد ربه لما يعلم من عظمة شأنه، وعز سلطانه، ويحبه لما يعلم من غناه وكرمه وأفضاله وإحسانه. وبهذا يصير الإنسان عابداً لله تعالى، أي: منقاداً له اختياراً بامتثال أوامر رغبة في ثوابه واجتناب نواهيه رهبة من عقابه.

وتسمى العبادة توحيداً لأنها يقصد بها الله وحده ولا يتوجه شيء منها إلى أحد سواه كائناً من كان.

أما العبادة الكونية فهي الخضوع القسري لأمر الله في الكون وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد وحقيقة: نفوذ مراد الله تعالى وأقداره فيهم وجريان أحكامه عليهم وصيروتهم إلى ما حده لهم ووجههم كوناً إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَنَّ لَهُ رَبٌّ وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الآية.

(١) فائدة: في التوحيد:

التوحيد لغة: مصدر وحد الشيء يوحده توحيداً أي جعل الشيء واحداً وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات فإن النفي وحده ليس توحيداً، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة.

والتوحيد اصطلاحاً: هو إفراد الله تعالى فيما هو مختص به من فعله وملكه ووصفه وحقه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّهُ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ كَيْفَ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُمْسِكُمْ بِتِبْيَانِ حَقِيقَةِ الْحِكْمَةِ إِلَّا تَعْبُدُونَا إِلَّا اللَّهُ إِنَّمَا لَكُمْ مِنْهُ نِذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَأْمُدُوا أَهْلَهُ وَاجْتَنِبُوا الظَّلْمَوْتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الظَّلَمَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَى إِلَيْهِ أَنَّمَا لَآءِ اللَّهِ إِلَّا أَنَّا فَاعْبُدُونَ﴾.

ولأنها عَرَفَ الشِّيخُ - رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - التَّوْحِيدَ - هُنَا - بِأَنَّهُ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ، لِأَنَّ هَذَا النَّوْعُ مِنْ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ هُوَ زِيَّدَ الرِّسَالَاتِ الإِلهِيَّةِ، وَخَلَاصَةِ الْكِتَابِ السَّمَاوِيَّةِ، وَحَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَهُوَ الَّذِي حَدَثَ فِيهِ الْلِّبَسُ، وَوَقَعَتْ فِي الْخُصُومَةِ بَيْنَ الْمُرْسَلِينَ وَالْمُكَذِّبِينَ، فَوَقَعَتْ فِي الْمَنَاظِرَاتِ وَتَوَالَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ، وَتَنَوَّعَتْ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ الْبَرَاهِينَ وَالدَّلَائِلِ الْقَاطِعَاتِ، وَوَجَبَ مِنْ أَجْلِهِ الْجَهَادُ وَتَمَيَّزَ بِحَسْبِ إِخْلَاصِهِ، أَوِ الشُّرُكَ بِهِ صَاحِبُوا الْعِبَادَ، مِنْ أَهْلِ الشُّرُكَ وَالْإِلْحَادِ وَالْمُتَقَوِّنِ مِنَ الْفَجَارِ، وَأَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَمْ يَمْهُدْ لَهُ وَيَسْتَدِلْ عَلَيْهِ بِذِكْرِ تَوْحِيدِ الرِّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصَّفَاتِ الَّذِينَ هُمْ تَوْحِيدُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْفَعْلِ مِنَ الْخُلُقِ وَالْمُلْكِ وَالْتَّدْبِيرِ وَالْوَصْفِ، أَيْ: أَنَّهُ تَعَالَى ذُو الْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى وَالصَّفَاتِ الْعَلَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، لِإِقْرَارِ الْمُشْرِكِينَ بِجُنْسِ هَذِينَ النَّوْعَيْنِ مِنَ التَّوْحِيدِ فِي الْجَمْلَةِ، لِتَقْرِيرِهِمْ بِمَا أَقْرَوْا بِهِ وَمُطَالِبِهِمْ بِلَازْمِهِ وَهُوَ أَنْ يَقْرُوا اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِنْفَرَادِ فِي الإِلَهِيَّةِ وَاستِحقَاقِ الْعِبَادَةِ وَيَخْلُصُوا لِهِ الدُّعَاءُ وَالْعِبَادَةُ لِيَتَجَلِّي لَهُمْ وَجُوبُ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَبِطْلَانُ عِبَادَةِ غَيْرِهِ.

وأعظم ما نهى الله عنه الشرك^(١): وهو دعوة غيره معه، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾.

والتوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب نوعان:

١- توحيد في العلم والاعتقاد:

وهو إثبات حقيقة ذات الرب تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وتكلمه بكتبه وتکلیمه لمن شاء من عباده وإثبات عموم قدره وقضاءه وحكمته في شرعه وأفعاله وفضله وعدله في جزائه، وكماه في أسمائه وصفاته، وتنتزهه عن النقائص والعيوب ونماذل خلوقاته وهذا التوحيد مقرر به في الجملة من عامة الأمم.

٢- توحيد في القول والقصد أو في الطلب والإرادة:

وهو الإقرار والاعتقاد بتفرد الله وتعالى بالإلهية واستحقاق العبادة، وإخلاص العبادة له وحده والكفر والبراءة مما يعبد من دونه ومن عبد سواه.

فهذا التوحيد هو حق الله على عباده، وهو أول ما أمر الله به في القرآن في قوله تعالى: ﴿ يَتَآمَّلُ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الآية وهو الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل والأمم المكذبة.

(١) **فائدة:** أعلم أن التوحيد والشرك ضدان لا يجتمعان، فإذا اجتمعا أبطل الشرك التوحيد، ذلك لأن التوحيد بناء والشرك هدم، فالشرك يهدم التوحيد ويبيطله، فإنه محبط للعمل مخرج من دين الله عز وجل، مشقي لأهله في الدنيا والآخرة، ولذا توعد الله المشركين الكافرين بما لم يتوعد به أحداً من الظالمين؛ لأنه تنقص للربوبية وهضم لحق الإلهية وعدل رب العالمين.

أ - والشرك لغة: مأخوذه من الشركة وهي الاختلاط في الشيء، أي أن يكون الشيء مشتركاً بين اثنين فأكثر قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَثُرَا مِنَ الْخُلُطَةِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ الآية، ومن معناه اللغوي الشركات في العقود والمعاوضات.

ويعرف الشرك شرعاً تعريفاً عاماً بأنه: تسوية غير الله تعالى بالله فيما هو من خصائص الله. قال تعالى عن أصحاب الجحيم: ﴿فَالَّذِينَ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَالَّهُ إِنْ كُنَّا لِفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية. وهو اتخاذ ند - أي: مثل مضاد - مع الله في عبادته، فقد سئل النبي ﷺ أي الذنب أعظم؟ - أي: جرماً وأكبر إثماً وعذاباً - قال ﷺ: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك...» الحديث.

ب - والشرك نوعان:

أحدهما: شرك أكبر:

وهو عبادة غير الله تعالى معه أو من دونه قال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام أنه قال لأبيه: ﴿وَأَعْزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾، وكذلك اتخاذ ند - أي: مثل مضاد - الله تعالى، فقد سئل النبي ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، فهو كل شرك أطلقه الشارع وهو متضمن لخروج الإنسان ورده عن دينه. كدعاء الموتى - من الأولياء وغيرهم -، والاستغاثة بالملائكة في أمر لا يقدر عليه إلا الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْعَاتٍ إِلَى قَوْلِهِ: وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشَرِيكِكُمْ وَلَا يُنَتَّهُكُمْ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ الآية.

الثاني: شرك أصغر:

هو كل ما جاء في النصوص تسميه شركاً وهو لا يخرج من الملة. كقول: لو لا الله وأنت لكان كذا، وكالخلف بغير الله لفظاً، وكيسير الريا وكذلك كل ما كان وسيلة وذرية إلى الشرك الأكبر.

ج - وكلامها منه:

١- ظاهر جلي: وهو الشرك في الأقوال كدعاء غير الله ، والخلف بغير الله، والأفعال: كالسجود والذبح والنذر لغير الله.

٢- خفي: وهو الشرك في النيات: كالرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا وأعمال القلوب كالتوكل على المخلوق، والخوف من أصحاب القبور، ومن الأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله.

د - الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

١- الأكبر يخرج من الإسلام، والأصغر لا يخرج، ولكن ينقص الإسلام ويضعفه حتى يسهل الخروج منه.

٢- الأكبر يحيط - أي: يبطل - العمل كله - ما سبقه وما لحقه وما قارنه -، والأصغر ينقص ما قارنه أو يحيطه دون ما سبقه أو لحقه.

٣- الأكبر لا يغفر إلا بالتوبة منه، والأصغر مغفرته تحت المشيئة.

٤- من مات على الأكبر فقد حرم الله عليه الجنة و Mayer النار، ومن مات على الأصغر إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له، وإن عذبه فلا يخلد في النار، ولكن يعذب حتى يظهر من رجس شركه، وأما المشرك الشرك الأكبر فهو خالد مخلد في النار.

إذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة^(١).....

(١) فائدة: بدأ الشيخ - رحمه الله - في الأصول التي يبني عليها الدين، فإن الأصل في اللغة هو: ما يبني عليه غيره، وهذه الأصول يبني علىها الدين كله لأنها الأساس، فمخالفتها هلاك وخسران ووجوب هذه الأصول معلوم بالنصوص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فمن أدلة وجوب معرفة هذه الأصول الثلاثة :

الأول: أن العمل الذي يتدين به الله تعالى طلباً للثواب عليه في الدنيا والآخرة لابد فيه من أمور:

أ- أن يكون مقصوداً؛ فإن غير المقصود لا يسمى أ عملاً، ولا قيمة له ولا ثواب عليه.

ب- أن يتتغى به وجه الله تعالى فإن قصد به غير وجه الله تعالى فهو شرك.

ج- أن يكون في أصله على وفق ما شرعه الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ فإنه إذا لم يكن على وفق الشريعة فهو بدعة في أصله.

د- أن يكون في كيفية على سنة النبي ﷺ فإنه إذا لم يتحقق فيه الإتباع للنبي ﷺ فهو بدعة في كيفية.

الثاني: أن الإخلاص لله تعالى، والاستقامة على الشرع في كل ما يتبعه الله تعالى به ولإتباع النبي ﷺ في الكيفية من تحقيق الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

الثالث: أن الميت يتمتحن في قبره فيسأل عن هذه الثلاثة الأصول:

..... التي يجب على الإنسان معرفتها^(١)؟

أحدها: من ربك؟ وهو سؤال عن الإخلاص لله تعالى في القصد والنية.
 ثانيها: ما دينك؟ وهو سؤال عن الاستقامة على شريعة الله في أصول العبادة.
 ثالثها: من نبيك؟ وهو سؤال عن متابعته للنبي ﷺ في كيفية ولزوم سنته.
 الرابع: أن الأولين والآخرين يسألون يوم القيمة ثلاثة أسئلة، هي معنى هذه
 الثلاثة الأصول فيسألون:

أ- ماذا كنتم تعبدون؟ وهو سؤال عن الله تعالى وحقه.
 ب- ماذا كنتم تعملون؟ وهو سؤال عن الاستقامة على الدين الذي شرعه
 الله تعالى لهم.

ج- ماذا أجبتم المرسلين؟ وهو سؤال عن إتباع النبي المرسل؟.
 فما زل يسأل عنه العاقل في قبره ويوم نشره وحشره لا يخفى وجوب العلم
 والعمل به وتحتممه.

فلا بد من الجواب عن السؤال، ولا بد أن يكون الجواب صواباً، ولا يكون
 ذلك إلا بمعرفة الله تعالى وعبادته بما شرع والبراءة من الشرك والبدع في
 أصل العبادة وكيفيتها، وسيطيل ذلك توفيق الله تعالى للعبد ومن معالمه وأياته
 العلم والعمل بهذه الأصول.

فالعلم هو الدال على العمل والباعث على إخلاصه لله عز وجل والدائم
 عليه، والداعي إلى حسن الإتباع للنبي محمد ﷺ.

(١) ليس المراد مجرد المعرفة، التي هي العلم والقول، وإنما المراد المعرفة القلبية
 التي هي الخشية والتي تثمر الاعتقاد الصحيح والقول السديد والعمل
 الصالح والخلق الحميد. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الظَّالِمُونَ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَفُورٌ﴾.

..... فقل: معرفة العبد ربه^(١)، ودينه^(٢).....

(١) فائدة: لمعرفة الله تعالى وقوته الإيمان به أسباب منها:

١- النظر في مخلوقات الله العلوية والسفلية فإن ذلك يدل على معرفة عظمة الله تعالى وتمام قوته وقدرته وعلمه وحكمته.

٢- النظر في آيات الله الشرعية التي أوحاها الله تعالى إلى نبيه ﷺ فإنها مشتملة على المصالح العظيمة والغaiات الكريمة وهي في غاية الحكمة والإحكام ومنظمة لمصالح العباد في معاشهم ومعادهم.

٣- منها ما يلقى الله تعالى في قلب المؤمن من معرفة الله تعالى يتدارس معاني أسماء الله الحسنى وأوصافه العلي وأفعاله الحكيمية المحكمة.

٤- منها تذكر أنوار نعم الله تعالى على الإنسان وسابق الطافه بالعبد.

ومعرفة الله حقاً تقتضي اعتقاد تفرد الله تعالى بالإلهية كما تفرد بالربوبية وكمال التعلق به وترك ما سواه وعبادته عبادة خالصة له وحده، وإنما تكون معرفة الله تعالى بالأدلة، وقد تعرف الله إلى عباده بآياته الكونية والشرعية ومخلوقاته، وما فيها من بديع الصنعة وإحكام الخلقة وبتديره الحكيم، ولطفه العميم.

(٢) فائدة: معرفة دين الإسلام حق معرفة تقتضي الاستقامة على الدين وأن تعبد الله بما شرع وتعرف محاسن ويسر هذا الدين لأنه الدين الذي شرعه الله وارتضاه ولم يرتضى غيره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعَ غَرَّ الْإِسْلَامِ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾، فتعرف منه ما لا يسعك جهله، وتعرفه ل تستقيم عليه.

ونبيه محمدًا ﷺ (١). (٢)

الأصل الأول^(٣): معرفة الرب^(٤)

(١) **فائدة:** معرفة الرسول ﷺ تقتضي إتباعه وحسن الإقتداء به، وترك مخالفته، وترك مشاقهته، والعمل بستنته، فمعرفته تقتضي تمام الإقتداء به في عبادة الله.

(٢) **فائدة:** فتبين بذلك أن الحاجة بل الضرورة تقتضي العلم والعمل بهذه الأصول؛ لأنها تبني عليها صحة الأعمال وقبوها، فإن العمل:

١- إذا لم يكن خالصاً لم يقبل لأنه شرك.

٢- وإذا لم يكن على ما شرع الله لم يقبل لأنه بدعة في أصله.

٣- وإذا لم يكن على سنة رسول الله ﷺ لم يقبل لأنه بدعة في كيفيته.

فتشرط في صحة العمل هذه الأصول: الإخلاص، والمتابعة في المشروعية، والمتابعة في الكيفية؛ فمثلاً السواك: تستاك به لأن الله شرعه من دينه، وابتغاء لوجه الله، وإتباعاً لسنة نبيه ﷺ.

فهذا يدل على أن هذه الأصول الثلاثة يحتاجها المسلم في كل شيء.

(٣) هذا شروع من المؤلف -رحمه الله- في بيان الأصل الأول.

(٤) **فائدة:** في الأمور التي يعرف الله بها وهي تعرف الله تعالى بها إلى خلقه وجعلها شاهدة على توحيده دالة على قدرته وتعلمه وحكمته ورحمته، وهي نوعان:

الأول: آياته الكونية وهي المخلوقات العظيمة وما فيها من بديع الصنعة وبالغ الحكمة.

فإذا قيل لك: من ربك؟^(١)، فقل: رب الله الذي رباني^(٢)، وربى جميع العالمين^(٣)..

الثاني: آياته الشرعية وما فيها من الصدق في الأخبار والعدل في الأحكام
والاشتمال على تحصيل المصالح ودفع المفاسد.

الثالث: أسماؤه وصفاته وأفعاله وما فيها من الحسن والكمال والحكمة
والقدرة وأثارها في الأنفس والأفاق.

الرابع: إنعام الله تعالى وأفضاله وأنواع الطافه بعياده، فكم أسبغ تعالى من
نعمه؟! وكم دفع من نقمته؟! وكم نفس من كرب؟! وكم كشف من ضر؟!
وكم لطف في قضائه؟! وكم صرف من أنواع بلائه؟!.

(١) فائدة: الرب مطلقاً هو من له هذا الوصف:

الأول: من له الخلق والملك والتدبير لجميع الأمور.

الثاني: الإحاطة بجميع الخلق علماً وقدرة رحمة.

الثالث: من يستحق أن يعبد لما له من الكمال المطلق من كل وجه وبكل
اعتبار.

(٢) أي: الذي اعنى بي منذ كنت نطفة وفي حياتي إلى ما تи فخلقني أطوار، ورباني
حتى كمل تربيتي.

(٣) العالمين جمع عالم، والعوالم كثيرة: منها عالم الملائكة وعالم الجن، وعالم الإنس،
وعالم الطير، عالم الحوت إلى غير ذلك من العوالم التي لا يحصيها ولا يدبرها
إلا الله، وهذه عوالم كلها الله خالقها وربها الذي يكملها ويدبرها لا خالق لها
غيره ولا رب لها سواه ومصيرها إليه.

بنعمه^(١)، وهو معبودي ليس لي معبود سواه^(٢).....

(١) والذي هذا شأنه هو الإله الحق المستحق العبادة وحده.

(٢) **فائدة:** دلت على وجود الله تعالى ووجوب عبادته وحده لا شريك له جملة أدلة، منها:

أ- دلالة الفطرة: وهي أن كل مولود قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن هذا الإيمان إلا بصارف قد طرأ عليه لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهُ أَلَّا يَفْرَأَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْقِيمُ وَلَنِكَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية. وقال ﷺ: «ما من مولود إلا ويلد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...» الحديث.

ب- دلالة العقل: وهي أن المخلوق لا يمكن أن يوجد نفسه لأنه كان معدوماً والمعدوم ليس بشيء حتى يوجد شيئاً، ولا يمكن أن يوجد صدفة لأن كل حادث لابد له من محدث ولأن وجود الموجودات المحدثات على نظام وتناسق وتألف والارتباط التام بين المسببات وأسبابها يمنع يقيناً أن يكون وجودها صدفة إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون متظماً حال بقاءه وتطوره فإذا لم توجد هذه المخلوقات نفسها ولم توجد صدفة تعين أن يكون لها موجود هو الله رب العالمين.

ج- دلالة الشرع: فإن الكتب السماوية مملوئة بتقرير ذلك وما اشتملت عليه الكتب الإلهية من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من

والدليل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم^(٢).

رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب العالمين.

د- دلالة الحس: وهي ما ثبت في الأخبار القاطعة والحوادث المشاهدة من إجابة الداعين وغوث الم Kroobin وآيات النبيين والمرسلين وكرامات الأولياء الصالحين من أظهر الأدلة على وجود رب العالمين.

(١) فأثنى الله على نفسه، بكماله في ذاته، وأسمائه وصفاته، ولعدله وفضله، وهو محمود في السماوات والأرض، ومن موجبات الحمد أن خلق هذه العوالم ورباها حتى ازدادت وتمت ثم تبدأ بالنقص، وأيضاً قول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ..﴾ الآية.

(٢) في هذا الكلام بيان من الشيخ - رحمه الله تعالى - للأصل الأول وهو معرفة الله تعالى وخلاصته وفحواه:

أن الرب الحق الذي يجب أن يعبد وحده بالحق هو الله جل وعلا فإنه تعالى هو الذي خلق الإنسان وغيره من الأحياء فأحسن ما خلق وهيا كل مخلوق لما خلقه له. وربى الإنسان، فنقله أطواراً من طور إلى طور، حتى بلغ به حد التمام، وأسبغ عليه الإنعام، وأعظم هذا الإنعام التربية الدينية - أي التهيئة ليكون عبداً لله تعالى من عباده الصالحين ومن ذلك.

١- أن خلق الإنسان على الفطرة وهي الميل إلى التوحيد إذا سلم من المؤثرات الخارجية ك التربية الوالدين المنحرفة أو دعوات أهل الباطل.

- ٢- أن الله تعالى أخذ عليه الميثاق وهو في صلب أبيهAdam - عليه السلام -
الإقرار بربوبية الله تعالى ووجوب عبادته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ
بَنِي آدَمَ مِنْ طُهُورِهِ دَرِينَتْهُ وَأَشَهَدَهُ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ أَسْتَرْ
أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ الآية.
- ٣- أن الله تعالى هو الذي وهب الإنسان العقل الذي إذا سلم من الهوى -
يجعله يميز بين النافع والضار من الأعمال وبين الحق والباطل من المعاني.
- ٤- أنه تعالى أقام عليه الحجة وأزال المعدنة ببعثته الرسول ﷺ وإنزال القرآن
وتفصيل الشريعة وإبطال الشرك.
- ٥- ما أقامه سبحانه من أدلة التوحيد وآيات القدرة في الأنفس والأفاق
وكالها شاهدة بأن الله وحده المتفرد بالخلق والملك والتدبير هو رب الحق
الذي يجب أن يعبد بالحق لأنه الملك الكبير الذي هو على كل شيء قادر
وإليه المصير.

فرب هذه عنایته بالإنسان حيث غمره بالإحسان، وكذلك قد أحسن -
سبحانه - إلى سائر الحيوان فهو رب الذي يجب أن يفرد وينحصر باعتقاد
تفرده بالإلهية وأن يخلص له في العبادة كما انفرد واحتضن بالخلق والملك وهذا
قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فحمد تعالى نفسه على ربوبيته
لهذه العوالم الكثيرة التي منها: عالم الجن، وعالم الإنسان، وعالم الملائكة، وعالم
الطير، وعالم الحوت، وغيرها كثير فهذه عوالم كلها خلقها الله تعالى وربوها.

والذي هذا شأنه هو الإله الحق الذي يستحق العبادة وحده وهذا أثني الله
على نفسه، بأنواع كمالاته في ذاته، وأسمائه وتدبره وأفعاله، وبعدله وفضله،
وهو محمود أي مثنى عليه - مع الحب والتعظيم - في السموات والأرض،

فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته^(١)، وخلوقاته، ومن آياته: الليل والنهر والشمس والقمر.

ومن موجبات الحمد أن خلق هذه العوالم وربها حتى بلغت حد التمام ثم حكم عليها سبحانه بالنحسان والضعف ثم يعيدها مرة أخرى وهكذا قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ أَللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْشُو، إِلَيْهِ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَحَّرَاتٍ يَأْمُرُهُ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ الآية، فالذي انفرد بخلق هذه المخلوقات والاستواء على العرش والخلق والأمر هو رب الحق الذي يجب أن يعبد بالحق:

﴿ذَلِكَ يَأْكُلُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطَلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾.

(١) فائدة: الآيات جمع آية، والآية هي العلامة الدالة على الحق، وأيات الله تعالى هي دلائل علمه وحكمته وقوته وقدرته ووجوب توحيده سبحانه في أفعاله وأسمائه وصفاته وإلهيته ووجوب عبادته وحده بشرعيته، وأياته تعالى شرعية – وهي القرآن –، وكونية وهي كثيرة، قال الحكيم:

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

فالله تعالى قد نصب على توحيده نوعين من الأدلة هما:

الأول: الكتاب المسطور: «وهو القرآن العظيم»، أعظم ما أيد الله تعالى به النبي ﷺ؛ بل أعظم ما أيد الله به جميع الأنبياء والمرسلين وهو كله دعوة إلى إفراد الله تعالى بالعبادة كما انفرد بالخلق والإنعم.

الثاني: الكتاب المنظور: «وهو هذا الكون»، بما فيه من بديع الصنعة وإنعامات الخلق وحسن التدبير فإنه دلائل متکاثرة ظاهرة على وجوب توحيد الله تعالى في إلهيته وعبادته كما انفرد في خلقه وملكه وتدبيره.

ومن خلوقاته: السماوات السبع، والأراضون السبع، ومن فيهن وما بينهما، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الَّيلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لَا سَبِّحُوا بِالشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الَّيلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ يَأْمُرُهُ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ...﴾ الآية.^(١)

والشيخ – رحمه الله تعالى – قد استدل على معرفة الله تعالى بنوعين من الآيات:
فإحداها: آيات متحركة تذهب وتجيء وهم: الليل والنهار والشمس والقمر،
ففي اختلافها وتعاقبها وانتظامها أبلغ الدلالة على علم وحكمة وقدرة
وقوة خالقها ووجوب الإقرار بعبوديته وتحقيق عبادته.

ثانية: آيات ثابتة أمام الإنسان وهم السماوات والأرض وخلقها أعظم من
خلق الإنسان ففي ضخامة خلقها وإحكامها وما فيها من الجمال والمنافع أبلغ
الدلائل على تفرد الله تعالى بالإلهية ووجوب إخلاص العبادة له والكفر بكل
معبد سواه قال تعالى: ﴿هَذَا أَخْلَقُ اللَّهُ فَأَرُوْفٌ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَفَنَّ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، وقال تعالى:
﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّ تُؤْفَكُونَ﴾ الآية.

(١) فائدة: دلت هذه النصوص التي أوردها المؤلف – رحمه الله تعالى – هنا على
أمرتين:

الأول: أن السماوات والأرض، وما فيها وما بينهما، والشمس والقمر، والليل
النهار، وغيرها من الآيات أشياء مخلوقة مملوكة لله تعالى ليس لها من أفعال

والرب هو: العبود، والدليل قوله تعالى: ﴿يَأَمِّهَا الْنَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ^(١).....

الربوبية ولا من خصائص الإلهية شيء، فلا تستحق شيئاً من العبادة والتعظيم وإنها الواجب أن يستدل بها على عظمة خالقها وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وعلى وجوب إفراده سبحانه في إلهيته وإخلاص عبادته وترك الشرك به والكفر بها عبد من دون الله تعالى كائناً من كان. وأن يتفع بها جعل في هذه المخلوقات من المنافع.

الثاني: أن العبادة حق خاص بالله تعالى يجب أداؤه إليه ويحرم صرف شيء منه لغيره فإن التوحيد لله تعالى في العبادة حق وعدل وإن الشرك به سبحانه جور وظلم وإثم وشأن، كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، وسئل النبي ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل الله نداً وهو خلقك»، يعني: أن تشرك بالله وهو الذي خلقك ورباك وغذاك بنعمه.

وقال ﷺ: «إِنَّ حَقَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقَ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَعْذَبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً».

(١) هاتان الآياتان بيتنا: أن جميع عقلاه الثقلين مكلفوون بعبادة الله تعالى (فالناس) يدخل فيهم جميع الناس، الرجال والنساء، وكذلك الجن، لأن الناسي من يأنس بغيره. فكانه قال: يا أيها الجن والإنس اعبدوا ربكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا حَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. فالأمر بعبادة الله تعالى هو أول أمر في القرآن، فهو أول أمر بأعظم مأمور به وهو التوحيد من أعظم أمر وهو الله جل وعلا، وإنما كان أول أمر لأن ما قبله أخبار، وأعظم مأمور، لأنه أعظم واجب على المكلفين والأمر هو الله تعالى، والمعنى: ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، أي:

أفردوه بأفعالكم – التي شرّعها لكم وتعبدكم بها من الدعاء والخوف وغيرها من أنواع العبادة، ومن هذه الأفعال والأعمال التي يتبعدها أنواع: فمنها:

- أ- عبادات قوله: كالشهادتين وتلاوة القرآن وتعليم العلم. والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.
- ب- عبادات قلبية: كالخوف والرجاء، والرغبة، والرهبة، والإنابة، والمحبة، والتوكّل، ونحوها.
- ج- عبادات بدنية: ذات أقوال وأفعال: كالحج والصلاه.
- د- عبادة مالية: كالزكاة والذبح.
- ه- عبادات تركية: يتقرب بتركها إلى الله عز وجل تعبدًا له، بأن يترك ما حرم الله عليه مؤقتاً كالمفطرات في الصوم، أو أبداً كسائر المحرمات التي أمر الله بتركها واجتناب وسائلها.

فك كل هذه العبادات وغيرها مما تعبد الله تعالى به الناس يجب قصد الله تعالى وابتغاء وجهه بها، وهذا قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ...﴾ الآية.

فالقصد اعبدوا الله بأعمال الجوارح والقلوب والألسن، وإنفاق الأموال ابتغاً مثوبته ومرضاته، وحذر من غضبه وعقوباته لأنه تعالى المنفرد بالخلق والملك والتدبر والكمال والتنزه عن العيوب والنقائص والمثال، وهو ذو الغنى والجود والكرم المبتدئ والمحسن بأنواع النعم ودفع النقم، والذي إليه المرجع والمأب، وعليه الحساب والثواب والعقاب: ﴿مَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبِّكَ يُظْلِمُ لِلْعَبْدِ﴾ ٦٦، وقال تعالى: ﴿لِيَجزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوْءُ بِمَا عَمِلُوا وَبَخْرِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسْنَى﴾ ٦٧.

الَّذِي خَلَقَكُمْ^(١) وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ^(٢) الْعَلَّاكُمْ تَسْتَقُونَ^(٣) ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا^(٤) وَالسَّمَاءَ بَنَاءً^(٥) وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ^(٦)

(١) من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم أخرجكم طفلاً، ثم بلغكم أشدكم، ثم استكمال أعماركم.

(٢) أي: والذي خلق الذين من قبلكم وآبائكم وأمهاتكم الذين هم أصولكم.

(٣) فائدة: فيما تتحقق به عبادة الله تعالى:

تحقيق عبادة الله تعالى بامتثال أوامره قدر المستطاع، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده وكثرة ذكره، والتوبة إليه واستغفاره من التقصير في حقه رغبة وريبة، وتلك هي التقوى التي تقي المكلفين العذاب وتهيئهم للثواب ومجاورة رب الأرباب في أكرم مثوى وأحسن مآب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتِ رَبَّرِ ﴿٢١﴾ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْنَدِرٍ﴾ الآية.

فالتقى هي الحكمة من خلقكم وسعادتكم وبتركها تتحقق شقوتكم.

(٤) منبسطة مسهلة ذلولاً بساطاً مستقرة مهددة تنامون عليها، وفيها سكن لأحيائكم، وكفاناً – أي: قبوراً – لأمواتكم.

(٥) أي: سقفاً مرفوعة.

(٦) السماء – هنا – السحاب، فما علاك فهو سماء، والمطر سماء عند العرب لنزوله من العلو كما قال الشاعر:

وعيناه وإن كانوا أغضاباً

إذا نزل السماء بأرض قوم

مَاءٌ فَأَخْرَجَ بِهِ^(١) مِنَ الْثَّمَرَاتِ^(٢) رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَحْتَلُوا بِلَهٗ أَنْدَادًا^(٣) وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^{﴿٢﴾} الآية.

(١) فأبنت به - أي: بالماء - .

(٢) أي، من النبات، كما قال تعالى: «وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الرَّجْعِ - أي: المطر - وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّدْعِ^{﴿١٩﴾}»، وهذا من آيات الله العظيمة.

وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثلاً للوحي الذي يتزل من الله تعالى، فيثمر الخير في القلوب بالمطر الذي يتزل من السماء فيتتفع به الطيب من الأرض وينفع الناس، وكثيراً ما يذكر هذا في القرآن ، فيمثل أثر العلم الذي أنزل على رسول الله ﷺ على القلوب بالغيث الذي يتزله على الأرض فينفع الناس، كقوله ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم: كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضاً، فكان منها طيبة قبلت الماء فأبنت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فشرب الناس وزرعوا، وكان منها قيungan لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به...» الحديث.

وهذا الحديث يبين موقف الناس من هذا الوحي.

(٣) **فائدة:** لما أمر الله تعالى جميع الناس بعبادته - وهو أول أمر وأعظم أمر في القرآن - مبيناً برهان استحقاقه للعبادة وحده وهو انفراده بأفعال ربوبيته وإنعامه عليهم نهى عن الشرك به، فقال جل وعلا: «فَلَا تَحْتَلُوا بِلَهٗ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^{﴿٢﴾}»، أي: لا تجعلوا الله تعالى من خلقه أنداداً، أي: أمثالاً مضادين

قال ابن كثير -رحمه الله - : «الخالق للأشياء هو المستحق للعبادة»، وأنواع العبادة^(١) التي أمر الله بها، مثل: الإسلام والإيمان والإحسان،.....

تعطونهم بعضاً من حقه، وهذا لأن الشرك الذي هو التنديد أعظم الذنوب، كما قال ﷺ جواباً لمن سأله أي الذنب أعظم؟: «أن تجعل الله نداً وهو خلقك»، فهذا الشرك الأكبر هو أول ما نهى الله عنه وأعظم ما حرم الله على عباده وأشد ما توعد الله عليه بألوان من الوعيد وضروب من العقوبات لشناعه وفظاعته لأنه تعد على الله تعالى في حقه.

والمعنى: لا تجعلوا الله شركاء من خلقه تصرفون لهم شيئاً من العبادة التي هي خالص حقه، فإن الله تعالى هو الإله الحق المتنزه عن الشريك والنذر والمثال وذلك لأن العبودات من دونه إما صالحون وأنبياء وملائكة يعبدون الله ولا يرضون أن يجعلوا شركاء الله تعالى، أو طواغيت وفجرة، أو جمادات : وكل هؤلاء لا يملكون نفعاً أو ضراً لأنفسهم ولا لغيرهم، وقد حرم الله تعالى عليكم أن تشركوا به أحداً من خلقه كائناً من كان والحالة أنكم تعلمون أن الله تعالى لا ند له في عبادته كما لا شريك له في خلقه وملكه وتدبيره وأسمائه وصفاته وغير ذلك من خصائصه.

(١) فائدة: بدأ الشيخ في تفصيل أنواع العبادة وأن منها: الاعتقادات والأعمال القلبية، والأقوال اللسانية، وأعمال الجوارح.

ويستنبط من أسلوب الشيخ -رحمه الله - ضابط للعبادة، وهو: أن العبادة كل قول أو فعل أو عمل قلبي أمر الله تعالى بإخلاصه له أو نهى عن قصد غيره به، أو أثني على من فعله له، أو ذم وتوعيد من توجه به إلى غيره، ومتى ما تقرر أن الشيء عبادة لله فصرفه أو شيء منه لغير الله شرك .

..... ومنه الدعاء^(١)، ...

(١) فائدة: الدعاء لغة: هو النداء والطلب، وشرعًا: سؤال العبد ربه - عن رغبة ورهاة - جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره في العاجل والأجل أو هو سؤال الحاجة من أمر الدنيا والآخرة، والدعاء نوعان:

الأول: دعاء ثناء وهو أن يثنى العبد على الله تعالى بصفات كماله ونعوت عظمته وجلاله كأن يقول: لا إله إلا الله أكبر كبيراً، الحمد لله كثيراً، سبحان الله العظيم فيثنى على الله تعالى بهذه الكلمات ونحوها مثل يا رب العالمين يا أرحم الراحمين تعبد الله تعالى أي طلباً لثوابه أو توسلًا إلى الله تعالى في التماس حاجته.

الثاني: دعاء مسألة وهو طلب العبد الحاجات من الله تعالى وبهذا صار دعاء عبادة لأنّه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى، كأن يقول: رب اغفر لي، وارحمني، وارزقني، وعافني، وهكذا وللتجوء إليه واعتقاد أنه يقضي الحاجة لاحاطة سمعه وبصره وعظم غناه وسعة جوده وفضله وكمال قدرته.

وقد ذكر الشيخ - رحمه الله - الدعاء (أولاً)، لأن أكثر الشرك الواقع من الناس فيه فهو أكثر وأعظم ما يقع من أنواع الشرك، ودعاء الله وحده هو أعظم وأهم أنواع العبادة، وهو من العبادات القلبية لتوجه القلب إلى الله تعالى وثقته به، ومن العبادات اللسانية لذكر الله تعالى والضراعة إليه بطلب الحاجة، فإن كانت الحاجة مما لا يقدر عليها إلا الله فطلبها من الله توحيد، لاعتقاد الطالب بأن الله هو الذي يتصرف ويعطي، وطلبها من غير الله شرك أكبر يجتمع فيه الشرك في الربوبية والشرك في العبادة، أما إن طلب من المخلوق شيئاً يقدر عليه فلا شيء في ذلك لكن يجب أن يتعلق القلب بالله

والخوف^(١)، والرجاء والتوكيل^(٢)،.....

تعالى ويعتقد أنه وحده هو الميسر لذلك الأمر وإنما المخلوق سبب ووسيلة، فإن التفت القلب إلى المخلوق بشيء من الاعتماد والثقة فقد أشرك شركاً أصغر.

(١) فائدة: الخوف ذعر وانفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى وقد نهى الله تعالى عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده.

والخوف ثلاثة أنواع :

الأول: خوف طبيعي جبلي: وهو الذي قام سببه - كخوف الإنسان من السبع أو النار أو الغرق أو العدو -، وهذا لا يلام عليه ما لم يحمل على ترك واجب أو فعل حرم - من غير إكراه ملجي -؛ فإن حمل على شيء من ذلك من غير إكراه كان من الشرك الأصغر.

الثاني: خوف العبادة: وهو خوف مقرؤن بتعظيم وإجلال الله جل وعلا وهو الذي أمر الله به فلا يستحقه إلا الله تعالى.

الثالث: خوف سر: كأن يخاف من ميت أو غائب حي لا سبب له، أو حي حاضر في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة لأنه سوى غير الله تعالى بالله فيما هو من خصائص الله إذ خاف من المخلوق خوفه من الله، فهو شرك في الربوبية وشرك في الإلهية والعبادة.

(٢) التوكيل من الأعمال القلبية والعبادات الجليلة، وهو لغة: التفويض، وشرعًا: هو تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتماداً عليه وثقة به وتسليمًا لقضائه وقدره مع مباشرة ما شرعه الله وأباحه من الأسباب التي تنال بها المطالب وتدرأ بها الموانع. ومن توكل على الله كفاه، ومن توكل على المخلوقين أشرك وفاته كل

..... والرغبة^(١)، والرهبة والخشوع والخشية.....

مطلوبه أو بعضه. إذ لا يأتيه إلا ما كتب له، وقد أمر الله تعالى بالتوكل عليه وجعله شرط الإيمان، ووعد المتكلمين عليه بحسبه وكفايته، ونبه على حسن عاقبته عليهم في الدنيا وعظم المثوبة لهم في الأخرى.

(١) فائدة: المحبة ثلاثة أنواع:

الأول: محبة الله تبارك وتعالى: محبة تعظيم وإجلال وهيبة هي أصل الإيمان فيكماها يكمل وينقصها ينقص، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُ حُبًا لِّلَّهِ﴾، وقال تعالى في صفة المؤمنين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

الثاني: محبة في الله تعالى: وهي محبة ما يحبه الله تعالى من الأقوال والأعمال والأشخاص والأماكن والأزمان، وهي أثر عن محبة الله تعالى ومكملة ومقوية لها.

الثالث: المحبة مع الله: وهي المحبة الشركية التي أردت أهلها في الجحيم: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٦١﴾ تَأَلَّهُ إِنْ كَثَارًا لِفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٢﴾ إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾﴾، فهم إنما سووا معبوداتهم بالله في المحبة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَعَذَّذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾، فهذا النوع من المحبة شرك أكبر مخرج من الملة ومخلد لصاحبها في النار.

الرابع: المحبة الطبيعية: كمحبة الشخص لوالديه وزوجه وأولاده ونحو ذلك مما يلائمها فهذه مباحة ما لم تتحمل على ترك واجب أو فعل حرام، فإن حلت على ترك واجب أو فعل حرام من غير إكراه محقق أو غالب صارت شركاً أصغر ينقص كمال الإيمان الواجب ويعرض للوعيد، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ كَانَ إِبَ�وَكُمْ وَإِبَ�ئَاتُكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَعَشِيرَاتُكُمْ وَأَمْوَالُ أَقْرَافَتُمُوهَا وَتَجَرَّرَةً﴾

تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسِكُنَ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنْ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَهَادِ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرْبَصُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّفِيقِينَ ﴿١﴾.

وعلامة حبة الله ودليل كمال اتباع النبي ﷺ والمسارعة في الخيرات والحذر من السيئات والمبادرة بالتوبة من الخطىئات وثمرتها وفائدتها: حب الله تعالى لعبد ومحبته له ورحمته إياه.

من لوازم حبة الله تعالى:

- ١ - حبة أولياء الله تعالى وكل ما يحبه الله تعالى من ملائكته وكتبه ورسله وأنبيائه وعباده الصالحين وما يحبه الله من الاعتقادات والأقوال والأعمال والأشخاص والبقاء.
- ٢ - وكرابة ما يكرهه سبحانه من الأشخاص والاعتقادات والأقوال والأعمال والبقاء ونحو ذلك.

من أسباب تثبيت حبة الله تعالى وزياقتها:

- ١ - قراءة القرآن وتدبره وسؤال الله.
- ٢ - التقرب إلى الله تعالى بالنواقل بعد الفرائض.
- ٣ - دوام اللهج بذكره تعالى والثناء عليه بما هو أهله ودعائه.
- ٤ - إثارة محابه تعالى على محاب خلقه.
- ٥ - تدبر أسمائه وصفاته وأفعاله وسؤاله والثناء عليها بها.
- ٦ - ذكر آياته ونعمه وشكره والاعتراف بالعجز عن القيام بحقه.

والإنابة^(١) والاستغاثة والاستعاذه والاستغاثة^(٢).....

- ٧- كثرة استغفاره تعالى والتوبة إليه في كل الأحوال مما يعلم من الذنوب وما لم يعلم من التقصير في الحق الذي الله عليه.
- ٨- مجالسة الصالحين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه.
- ٩- حضور مواطن الذكر وخلق العلم فإنها يزداد المرء بها علمًا وهدى وحكمة وتقوى.
- ١٠- ذكر كرمه وجوده سبحانه حيث يجزي المحسنين بالإحسان والمسين من عباده بالعفو والغفران ويعطي على العمل اليسير الأجر الكبير ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره ولا شيء أعطاه.

(١) فائدة: الإنابة هي الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته، وهي قريبة من معنى التوبة، فكلاهما عبادات الله تعالى، ومن صفات المؤمن، لكن بينهما فروق، منها:

- ١- التوبة تكون من المذنب، وإنابة من المطيع المستقيم.
- ٢- الإنابة أخص من التوبة لما تشعر به من الاعتماد على الله وكمال اللجوء إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى اللَّهِ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا يُصْرُوْنَ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَأَنْتُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٌ﴾.

(٢) فائدة: الاستغاثة: طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدة، أي: طلب النجدة حال الشدة، وهي أقسام:

والذبح^(١)

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل: وهي أخص أنواع العبادة وأفضلها وأكملها، وهو دأب النبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين، كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِبَ لَكُمْ أَفَمُؤْمِنُكُمْ بِاللَّهِ مِنَ الْمُلْكِيَّةِ مُرْدِفِينَ﴾، وذكر الله تعالى عن يومنا عليه السلام قوله: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»، ومنه قول رسول الله ﷺ يوم بدر: «اللهم أنجز لي ما وعدتني..» الخ.

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء: فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وهذا شرك أكبر مخرج من الملة لأن المستغيث بهؤلاء إنما يستغيث بهم لما يعتقدون فيهم من التصرف الخفي في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الشَّوَّءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضَ أَئِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَرُوكُمْ﴾ الآية.

الثالث: الاستغاثة بالأحياء: الحاضرين العالمين القادرين فيما يقدرون عليه وهذا جائز وقد يحب، قال تعالى: ﴿فَاسْتَغْاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾.

(١) **فائدة الذبح:** هو إزهاق الروح ، والمراد به هنا: الذبح على وجه العبادة، بإراقة دم ما يؤكل لحمه – أي: ما تحله التذكرة شرعاً –، ويقع على وجوهه:

الأول: أن يكون بقصد التعظيم لله تعالى والتذلل له والتقرب إليه وعلى وفق ما شرعه سبحانه وهذا عبادة من أعظم العبادات وأجل القربات، ودليله قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِقَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية، وهو أنواع:

والنذر^(١)، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها.

- أ- الهدي والأضحية والعقيدة وهو أفضل الذبح.
- ب- ما يذبح إكراماً لشخص أو جماعة كإكرام ضيف ووليمة عرس ونحو ذلك وهذه الأمور إما واجبة أو مستحبة لقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «أَلَمْ وَلُوْبَشَا».
- ج- أن يقصد بالذبح الأكل والاتجار باللحم فهذا إذا كان على وفق الشرع فهو مباح ومع النية الصالحة يكون عبادة عظيمة، ودليله قوله تعالى: ﴿أَوَلَنْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلْتُمْ أَيَّدِينَا أَنْعَكْمَانَ فَهُمْ لَهُمَا مَنْلِكُونَ﴾ الآية.

الثاني: أن يذبح تعظيمًا لغير الله، وهو نوعان:

- أ- أن يتقرب به لغير الله من جبت أو جن أو نحوهما لتحقيق مطلوب أو دفع مرهوب وهذا شرك أكبر ودليله قوله ﷺ: «العن الله من ذبح لغير الله ...» الحديث.
- ب- ما يذبح عند طلة الزعيم ونحو ذلك، فهذه من عقائير الجاهلية ونوع من الشرك الأصغر.

(١) فائدة: النذر هو: إلزام الإنسان نفسه بشيء من الأعمال أو النفقات تقرباً إلى الله عز وجل.

وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالنذر في قوله: ﴿وَلَيُؤْفَوْا نُذُورَهُمْ﴾، وأثنى على المؤمنين به بقوله: ﴿يُؤْفَوْنَ بِالنَّذْرِ﴾ الآية، فدل على أنه عبادة يحبها الله تعالى ويجب أن يخلص له ولا يشرك معه فيها أحد غيره.

والنذر الذي هذا شأنه نوعان:

الأول: ما يلزم بالشروع فيه، ومنه هدي التمتع والقرآن فإنها يجبان بالشرع فيهما، وكذلك الأضحية فإنها تجب بتملكها وتعيينها، وكذلك العقيقة وهي نذر مستحب.

الثاني: ما يلزم بالالتزام به كأن يقول الله عليه كذا وهذا هو النذر عند الإطلاق، وهو لا يشرع ابتداؤه وإنما يستخرج به من البخل ولكن يجب الالتزام به إذا كان طاعة وفيها يملك ابن آدم، لقوله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه»، ولقوله: «لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيها لا يملك».

فتبيان مما سبق أن النذر عام فيدخل في كل عبادة لا خصوص النذر الذي يوجبه الإنسان على نفسه، وهو أنواع:

الأول: النذر الذي شرعه الله وأمر به: كالهدي، قال تعالى: ﴿وَلَيُوفُوا نُورَهُمْ﴾، وكالضحايا، قال تعالى: ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ كُنْدِرٍ﴾ الآية، وكذلك العقيقة، لأنها تذبح على وجه التقرب إلى الله تعالى.

الثاني: نذر الطاعة: وهو الذي جنسه قد شرعه الله تعالى من صلاة أو صيام أو صدقة فإذا ألزم الإنسان نفسه بشيء منه لم يوجبه الله عليه فيجب عليه الوفاء به لأن طاعة الله تعالى وهو وإن كان مخصوصاً فيه إلا أن ابتداءه غير محبوب، لقوله ﷺ: «إنه لا يأت بخير، وإنما يستخرج به من البخل»، ولما فيه من إلزام النفس بشيء هي في عافية منه، ولأن مبناه على مقصوده فكأن النازر لما استبعد حصول مقصوده شارط الله تعالى على النذر فكأن فيه سوء الظن بالله عز وجل.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر^(١). والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَنَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾^(٤).

الثالث: نذر المعصية: كما لو نذر أن يشرب خمراً أو أن يقطع رحماً، فحكمه أنه لا يجوز الوفاء به، لقوله ﷺ: «وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِيهِ»، وفي وجوب كفارة اليمين عليه خلاف بين أهل العلم على قولين، والراجح أنه لا كفارة فيه لأنّه على غير مراد الله ورسوله.

الرابع: النذر المباح: إذا نذر أمراً مباحاً، لكنه يشق عليه، كما لو نذر أن يمشي إلى مكة، أو لا يستظل أو أن يحمل والده على كتفه مسافة كذا فهو لا يوفي به ولكن يكفر عنه كفارة يمين، لأن الله لم يرد منه تعذيب نفسه.

الخامس: نذر اللجاج والغضب: وهو ما يلزم الإنسان به نفسه بسبب اللجاج والغضب، وهذا فيه كفارة يمين ولا يلزم الوفاء به.

(١) المساجد تعم موضع السجود ، ومواطن العبادة ، وأفعال العبادة: فلا تسجد بمواقع سجودك في المساجد – بيوت العبادة – فاعلاً ذلك لغير الله تعالى فإن السجود لغير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام.

(٢) من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى فهو مشرك لأنه أشرك مع الله غيره في العبادة، وكافر بمحوده ما أوجب الله عليه من التوحيد، وهكذا الكافر كافر بمحوده ما أوجب الله عليه من التوحيد، ومسشك لأنه اتخذ إلهه هواه.

(٣) في الدنيا والآخرة.

(٤) فنص الله – سبحانه وتعالى- على كفر من يدعو مع الله إلهاً آخر، والحال أنه لا برهان له به، أي: لا حجة له عليه وكل مشرك لا برهان له على الشرك، قال تعالى: ﴿أَمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَنَاتٍ فَهُوَ يَتَكَبَّرُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ الآية، ولذلك نفي الله تعالى عنه الفلاح لكونه لا حجة له على شركه بل الحجة لله تعالى عليه.

وفي الحديث: «إن الدعاء من العبادة»^(١). والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَحِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٢).

وقد أبطل الله تعالى إلهية الآلة التي تعبد من دونه بعده براهين. منها:

أ - أن هذه الآلة المعبودة مع الله تعالى أو من دونه لا تخلق ولا تملك شيئاً ولا تجلب لعبادتها نفعاً ولا تدفع عنهم ضراً ولا تحقق لهم نصراً، قال تعالى: ﴿أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿فَلِمَّا دَعَوْا إِنَّ الَّذِينَ زَعَمُتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَتَلْكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ الآية.

ب - أن هؤلاء المشركين مقررون بأن الله وحده هو الخالق الرازق الذي بيده ملك كل شيء وهو يجير ولا يجاري عليه ولا ينجي من الكرب وعند الشدائيد إلا هو وحده ولذلك يخلصون له الدعاء في الشدة، وهذا يستلزم أن يقرروا له سبحانه بالإلهية ويخلصوا له في العبادة كما أفردوه بالربوبية والخلق والملك والتدبير.

(١) فائدة الصواب: أن الدعاء هو: العبادة، لدلالة الأدلة على ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَحِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، ولقوله عليه السلام: «الدعاء هو العبادة»، أما الحديث الذي فيه: «الدعاء من العبادة» فهو حديث ضعيف، والشاهد من الحديث أن من دعا غير الله فقد جعل ذلك المدعو بمنزلة الله، وهذا شرك أكبر.

(٢) وما يدل على أن الدعاء عبادة، قوله تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لأبيه وقومه: ﴿وَأَعَزِّلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونَ

- دليل الخوف: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.
- دليل الرجاء: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشَرِّكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.
- ودليل التوكل: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١).
- ودليل الرغبة والرهبة والخشوع: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَ كَارَغَبًا وَرَهْبَابًا وَكَانُوا إِنَّا خَشِعْنَا﴾^(٢).

يُذْعَأَ رَبِّ شَقِيقًا ﴿٣٨﴾، ثم قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَعْنَزَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلَّا جَعَلْنَا نَبِيَّا﴾^(١)، فدل على أن الدعاء عبادة، وقد دل القرآن العظيم على أن دعاء غير الله شرك بالله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾^(٢) إن تدعوهُمْ لَا يسمعوا دُعاءكَ وَلَوْ سَمِعُوا مَا آسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشَرِّكُمْ وَلَا يُتَبَّعُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾.

(١) أي: كافية.

(٢) فلما أثنى الله عليهم بهذه الصفات دل على أنها من عبادة الله، وأنه يجب أن يتوجه بها إلى الله وحده، والشيخ إنما ساق هذه النصوص لإثبات أن هذه الأعمال عبادات للأمر بها أو للترغيب فيها أو بذم من يتركها أو مدح من يفعلها، وإذا تقرر أنها عبادات فإن صرفها أو صرف شيء منها لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة ومخلد لمن مات عليه في النار ويحرم عليه الجنة وقد وقع في ذلك خلق كثير من المتسفين للإسلام.

- ودليل الإنابة: قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَيْنَا رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا يُنَصَّرُونَ﴾.
 - ودليل الاستغاثة: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وفي الحديث: «إذا استعن فاستعن بالله».
 - ودليل الاستعاذه: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.
 - ودليل الاستغاثة: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنَّ مُمْدُّكُمْ بِالْفِيْضَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.
 - ودليل الذبح: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَمُشَكِّي وَحَمَّايَيْ وَمَمَّا فِيْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له ويدل ذلك أمرت وأنا أول المسلمين.
- ومن السنة قوله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله».
- ودليل النذر: قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾^(١).

(١) فلما امتدح الله الأبرار بالوفاء بالنذر بعد إيجابه دل على أن النذر عبادة يجب إخلاصها لله تعالى، وهذا لا يعارض الحديث الآخر: «إنما يستخرج به من البخيل» فالجمع: هو أن النذر يجوز ومرخص فيه فإذا نذر الإنسان نذر طاعة وجب عليه الوفاء به واستحق الثناء والأجر على ذلك؛ مع أن عموم النذر يدخل فيه هدي التطوع والقرآن في الحج لمن تلبس بها، وكذلك الأضحية لمن عينها، وفي ذلك قال الحق جل وعلا: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَّهُمْ وَلَيُوْفُوا بِذُورَهُمْ وَلَيَطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، فلما أثنى الله عليهم بالوفاء بالنذر دل على أن النذر عبادة لله تعالى، فصرفة لغير الله شرك.

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام^(١) بالأدلة^(٢)، وهو الاستسلام^(٣) لله.....

(١) فائدة: هذا شروع من الشيخ في بيان الأصل الثاني: وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة، فإن من عرف دين الإسلام حقاً أحبه فاغبط به، ودخل فيه إن لم يكن من أهله فاستقام عليه، لأن العلم بحقيقة الدين ويسيره ومحاسنه وبركته على أهله وحسن عاقبته وعظم الثواب عليه دنياً وآخرة. من أسباب قبوله وانشراح الصدر به والاستقامة لله تعالى عليه.

(٢) أي: بالدليل، لأن العلم ما قام عليه الدليل، ولأنه لا يجوز العمل بما لا دليل عليه، وأنفع العلم ما نفع صاحبه في العاجلة والآجلة، وهو ما شرعه الله تعالى لعباده من العلم النافع والعمل الصالح المنير للبصائر المصلح للسرائر المجمل للظواهر. فلا تعبد الله إلا بما شرع مخلصاً له الدين، والله شرع لنا الإسلام ديناً، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عَدَدَ الْإِسْلَامِ دِيَنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾.

(٣) فائدة: ما ذكره الشيخ هنا هو معنى الإسلام العام وهو الاستسلام لله ظاهر وباطناً، وهو التوحيد لله تعالى بالإرادة والقصد والقول والعمل ابتغاء مرضاته ومثوبته، وكل الرسل بعثوا بالإسلام يدعون الناس إلى الإسلام وينحاطب أحدهم أمنته قائلاً: «أنا من المسلمين»، لكن اختلفوا في الشرائع، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، وقال تعالى للنبي ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَشْيَعَ أَهْوَاءُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وفي الحديث: «نحن عشر الأنبياء أبناء علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى»، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الظَّاغُوتَ﴾.

وكذلك قد اتفقت الشرائع على بعض الأشياء غير التوحيد، وهي المذكورة إجمالاً في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا ... إِلَى قوله تعالى: ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَنَلْقَى في جَهَنَّمَ مُلُومًا مَدْحُورًا ﴾ (٢١)، ونحوها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَاوَنُوا أَتُلَمْ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَخْنُنْ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفَسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢٢) وَلَا تَقْرَبُوا مَا أَلْيَتُمْ إِلَّا بِأَنَّهُ هُوَ أَحَسَنُ حَنْيَ يَبْلُغُ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَا كَانَ ذَا فُرُوقًا وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٣) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنِيَعُوا السُّبُلَ فَنَفَرَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَنَقُّونَ ﴾ (٢٤).

وكذلك ما تضمنت وصية لقمان لابنه في سورة لقمان، وهي مشتملة على: الأمر بالتوحيد، وبر الوالدين، والإحسان إلى مستحقه، وأداء الحقوق إلى أهلها، وصيانة الأنفس والأعراض والأموال، والأمر بمكارم الأخلاق، والنهي عن ضد هذه الأمور من: الشرك والعقوق والقطيعة والبغى والتعدي على الناس في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وسائر حرماتهم، والنهي عن التكبر عليهم... الخ، وأصل ذلك كله الأمر بإقامة الدين والنهي عن التفرق فيه، وقاعدته الإخلاص لله تعالى بما شرع، وعلى الوجه الذي شرع، وترك الشرك والأهواء والبدع.

بالتوحيد^(١)، والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، وهو ثلاث مراتب^(٢): الإسلام، والإيمان، والإحسان. وكل مرتبة لها أركان:

المرتبة الأولى: الإسلام^(٣):

(١) **فائدة**: وهذا التوحيد، هو سبب العزة والكرامة في الدنيا والآخرة، وتحقيقه بأن تفرد الله تعالى في خصائصه: في ربوبيته وفي أفعاله وأسمائه وصفاته، وتفرده تعالى بأفعالك أنت من العبادة بجميع أنواعها عن ذل وتواضع، فتجمع بين كمال الحب وكمال الذل؛ فإن العبادة هي الذل والانقياد لله تعالى بامتثال الأمر - ما استطعت - وترك ما نهى الله تعالى عنه، والصبر على أحكام الله القدرية في غاية من الحب لله تعالى والتعظيم له، فتفعل ما أمرك الله بفعله على الوجه الذي أمرك به، وترك ما نهاك عن فعله على والجهة الذي شرعه، والصبر على ما قدره، فلا تشرك بربك أحداً، وتبرأ من أهل الشرك الذين لم يقدروا الله حق قدره لا في أسمائه وصفاته وأفعاله وأنواع كمالاته، ولا في شرعيه وآياته؛ بل جعلوا له سبحانه عدلاً من خلقه، وسروهم به وأعطوه بعض خالص حقه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِرْتَهُمْ يَعْدِلُونَ﴾.

(٢) يعني: أن دين الإسلام ثلاث مراتب، كل مرتبة أوسع من التي بعدها، والتي بعدها أكمل منها وأعلا شأناً وفضلاً، وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وسيفصل الشيخ - رحمة الله تعالى - بيانها لاحقاً.

(٣) وفسره النبي ﷺ بالأركان الخمسة، وهي الأقوال والأعمال الظاهرة الدالة عليه، وهو الاستسلام لله بالتوكيد - أي: الذل لله تعالى -، والانقياد له

فأركان الإسلام خمسة^(١): شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله^(٢)،

بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، فإذا حصلت هذه الثلاث صار مسلماً ملائكة ملائكة ظاهراً، معصوم الدم والمال، فلا يحل دمه إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، فالقتل العمد والزنى مما يوجبا القتل: قصاصاً، أو حدّاً - مع بقاء الإسلام -، والردة توجب القتل ردة. فالاستسلام لله تعالى والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله علامات ظاهرة عملية تدل على استسلامه ظاهراً، وتوكل سريرته إلى الله تعالى لكن الثبات عليها وعدم التلون فيها يدل على صدقه في الاستسلام لله تعالى باطنًا.

(١) فعل المسلم أن يأتي بأركان الإسلام الخمسة بشرطها فإن ترك شيئاً منها قوتل لا لقتله ولكن لإلزامه بما ترك، وإن فعل ذلك ترك إلا أن يأتي بشيء يوجب القتل، كقتل النفس التي حرم الله ونحو ذلك.

(٢) فائدة: ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: الاعتقاد والإقرار والإخبار بأنه لا معبود بحق إلا الله، والالتزام بعبادة الله وترك عبادة ما سواه، ففي تلك الشهادة وتحقيق مقتضها فعلاً البراءة من الشرك والكفر والبدعة في أصل الشرع.

وكذا شهادة أن محمداً رسول الله معناها: الإقرار والإخبار عن الاعتقاد بأنه رسول الله، وأنه عبد لا يعبد ورسول لا يُكذب، بل الواجب أن يصدق ويطاع ويتبّع، فالشهادة للنبي ﷺ بالعبودية براءة من الغلو فيه ﷺ؛ كغلو النصارى في المسيح عيسى بن مريم، والشهادة للنبي ﷺ بالرسالة براءة من التكذيب له والجفاء بحقه، وبراءة من البدعة في الدين في أصل الشرع وفي الكيفية، وهو مسلك اليهود مع عيسى ابن مريم ومحمد عليهما أفضل الصلاة والسلام.

..... وإقامة الصلاة^(١)، وإيتاء الزكاة^(٢)، وصوم رمضان، وحج بيت الله

(١) **ثالثة:** الصلاة عبادة بدنية، وهي أعظم براهين التوحيد الفعلية الظاهرة، بل هي من التوحيد لله ظاهراً، ولا تقبل إلا إذا توافق ظاهرها مع باطنها، لذا كانت قرينة الشهادتين.

(٢) فائدة: في وجه الاقتصر على الشهادتين والصلوة والزكاة في إثبات الإسلام والإيمان:

الزكاة قرينة الصلاة في الكتاب والسنة في الذكر والمتزلة وهي عبادة مالية، وهذه الأركان الثلاثة - أعني: الشهادتين، والصلاحة، والزكاة - كثيراً ما تذكر في النصوص جميعاً؛ لأن الشهادتين اعتقاد القلب وعمله وقول اللسان، والصلاحة الشاهد الفعلي على التوحيد وبرهانه في الظاهر البدني، والزكاة عبادة مالية فهى برهان التوحيد المالي.

فإذا أتى بهذه الأركان الثلاثة فإن بقية شرائع الإسلام من جنسها وأقل وجوباً منها، فمن أتى بها على - الوجه المشروع - كان حرياً بأن يأتي بها هو من جنسها وأيسر منها لزوماً وكيفية.

ومن بذل ماله لله تعالى و فعل ما يشق على بدنـه من أجلـه كان حـرياً أن يوجد بنفسـه من أجلـ ربه، كـيف لا والله تعالى قد اشتـرـى هذه الأشيـاء منهـ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشْرَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يَا أَبَ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًا فِي الْتَّورَةِ وَالْأَنْجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَأَسْتَبِّنُوا بِيَتَعَمَّدُ الَّذِي بَأْيَضَتْ لَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الآية .

الحرام^(١)، فدليل الشهادة^(٢) قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾، ومعناها: لا معبود^(٣) بحق إلا الله وحده.

(١) فائدة: الحج جهاد بدني ومالي، فالبدني من جنس الصلاة، والمالي من جنس الزكاة، وكل فرائض الإسلام من صلاة وزكاة ونحوها لا تقبل إلا إذا بنت على الإخلاص لله تعالى في القصد والنية والتابعة للنبي ﷺ في الأداء والكيفية، فالعبدات التي تعبد الله بها المكلفين أنواع:

الأول: ما هو بدني محض كالصلاحة.

الثاني: ما هو مالي محض كالزكاة.

الثالث: ما هو ترك للمألفات والمحبوبات كالصوم.

الرابع: ما هو مالي وبدني وترك المحبوب كالحج والجهاد في سبيل الله.

وهذا من ابتلاء الله تعالى للعباد؛ حتى يظهر حبهم لله تعالى وانقيادهم له وصبرهم على المكاره في أنواع العبادات و مختلف الأوقات والأحوال ابتغاء مرضاة الله عز وجل وهرباً من سخطه وألوان عقوباته.

(٢) فائدة: شهادة أن لا إله إلا الله أكبر شهادة، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِ يَدَيْكُمْ ﴾، وإنما كانت أكبر شهادة لأنها شهادة بأعظم حق من أعظم شاهد وهو الله تعالى، على أعظم مشهود به وهو التوحيد.

(٣) فائدة: معنى شهادة أن لا إله إلا الله: الإخبار القطع عن الاعتقاد الجازم في قلب الشاهد بها أنه لا إله - أي: لا معبود بحق - إلا الله، وإخلاصه الدين

- لا إله: نافياً جميع ما يعبد من دون الله.
 - إلا الله: مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملکه.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يوضّحُهَا قُولُهُ تَعَالَى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ»^(١)  «إِلَّا أَنِّي فَطَرَنِي»^(٢) فَإِنَّهُ سَيِّدُنَا وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً^(٣) فِي عَيْقَبِهِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ». *

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَبِ تَعَاوَلُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَفْسُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا شُرِيكَ لَهُ شَيْئًا وَلَا يَشْخُذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

وَدَلِيلُ شَهادَةِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عِنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّجِيمٌ

الله، والبراءة من الشرك وأهله، فمعناها: أي: لا رب معبد مستحق للعبادة إلا الله تعالى وحده لا شريك له، فكل مؤله معبد من دونه فإلهيته باطلة وعبادته باطلة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَكُمْ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

(١) فھی بمعنى: (لا إله).

(٢) فهي بمعنى: (إلا الله).

(٣) ذريته في متوارثة: أي

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله^(١): طاعته فيما أمر^(٢)، وتصديقه فيما أخبر^(٣)، واجتناب ما نهى عنه وزجر^(٤)، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع^(٥).

(١) ما ذكره الشيخ - رحمه الله - هنا ليس هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله، وإنما هو لازمها، إذ أن معنى شهادة أن محمداً رسول الله: الإخبار القاطع عن اعتقاد الشاهد بها بقلبه أن محمداً ﷺ مرسلاً من عند الله بالحق، وأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فقد بلغ وبين كل ما أوحاه الله إليه، وأنه عبد الله ورسوله. وتحقيق ذلك: أن يطيع النبي ﷺ فيما أمر، ويصدقه فيما أخبر، ويتجنب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، وإلا لم ينفعه ذلك الاعتقاد إذا لم يأت بهذا اللازم. قوله سبحانه: ﴿فَلَا يَحْذَرِ الَّذِينَ يَحْاَلُفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وهو ﷺ لا يأمر إلا بما بمصلحته كاملة أو راجحة، ولا ينهى إلا بما مفسدته كاملة أو راجحة وكل أمره أو نهيه تبليغ عن ربه لا من عند نفسه.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

(٣) لأنه رسول والرسول لا يكذب، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، وقال: ﴿وَلَا تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ لأخذنا منه باليمين ﴿لَا خَذَنَا مِنْهُ إِلَيْنَا﴾.

(٤) أي: ما توعد على فعله تبليغاً عن ربه؛ ولأنه لا ينهى عن شيء ويزجر إلا إذا كان مضرًا ومفسدته كاملة أو راجحة.

(٥) لأنه هو المبين لشرع الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَزَلَنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فلا تبعد الله إلا على الكيفية المأثورة عن الرسول ﷺ. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَهُ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجْنِبُونَ اللَّهَ فَاتَّسِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءُ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكُورَةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ﴾.

ودليل الصيام: قوله تعالى: ﴿يَتَائِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتُبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ودليل الحج: قوله تعالى: ﴿وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

المرتبة الثانية: الإيمان^(٢): وهو بضع وسبعين شعبه، فأعلاها قول : لا إله إلا الله، وأدنىها إماتة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة عن الإيمان.

(١) ساق الشيخ - رحمه الله - أدلة أركان الإسلام، وفيها: أنها واجب عيني على العبد بشرطها، وأنها قواعد الإسلام الأساسية وأركانه العملية، وهي التي تفرق بين المسلم وغيره، فلا إسلام بدون هذه الأركان.

(٢) فائدة: في تعريف الإيمان لغةً وشرعًا وأدلةً:

أ- الإيمان لغة: التصديق.

ب- والإيمان شرعاً: هو التصديق المستلزم لقبول الأخبار، والإذعان للأحكام، وقد دلت نصوص الشرع على أنه قول اللسان والقلب وعمله وعمل الجوارح، فأصله: التصديق بما جاء في الكتاب والسنة تصدقًا يستلزم القول والعمل، فهو اعتقاد وعمل باطني تبني عليه الأقوال والأفعال الظاهرة، وهو - عند أهل السنة والجماعة - (قول باللسان واعتقاد بالجناح - أي: القلب - وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص

بالعصيان). فيزيد حتى يتم ويكمel، وينقص بنواقصه حتى يتلاشى ويضعف، ويدهب جملةً وييطل بارتکاب ناقض من نواقصه، قلتُ:

أ- فمن أسباب زیادته: زیادة العلم وزیادة العمل. وتلاوة القرآن وصحبة الآخیار، وتذكر النعم والتفکر في خلق المخلوقات وأهوال يوم القيمة.

ب- ولنقتصر أسباب، منها: الإعراض عن التعلم والذکر والجرأة على المعاصي، والتسویف بالتوبه، ومخالطة الفساق وترك الواجبات وعدم توقی الشبهات.

ج- ومن نواقصه ومبطلاته: جحد معلوم من الدين بالضرورة، والاستهزاء بالله ورسوله وآياته، ودعاء غير الله، والتحاکم إلى غير شرع الله تسویة له بالشرع أو تفضیلاً له عليه أو اعتقاداً أنه يسوغ التحاکم إليه.

فهذا هو الإیمان عند أهل السنة والجماعه.

ومن الأدلة على أن الإیمان قول واعتقاد وعمل وأنه يزید وينقص ما يلي:

أ- الدلیل على أنه قول: قوله تعالى: ﴿قُلُّوا إِيمَانًا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَاهُمْ وَلَا تَمْتَعِيلْ وَلَا سُخْنَ وَلَا عَقُوبَ وَلَا أَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا هُنْ لِمُسْلِمُونَ﴾،
وقوله ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم» .

ب- الدلیل على أنه اعتقاد: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِكَهُ وَكُلُّهُمْ وَرَسُولُهُ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ﴾ الآية.

ج - والدليل على أنه اعتقاد وعمل: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبَرُّ أَن تُؤْلُوا وُجُوهَكُمْ قِبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلِكُنَّ الْبَرُّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَانِي الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ، ذُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَانِي الزَّكُوَةُ﴾ الآية، وقوله لوفد عبد القيس: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا الله ورسوله أعلم، – قال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكوة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخامس».

د - ومن أدلة زیادته: قوله تعالى: ﴿وَرَدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ الآية، وقوله في صفة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذِكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلَيَّتْ عَلَيْهِمْ ءَيْتُهُمْ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الآية.

ه - ومن الأدلة على نقصه: قوله ﷺ للنساء: «ما رأيتم من ناقصات عقل ودين أغلب الذي لب منكن». وقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...» الخ الحديث. أي: وهو كامل الإيمان بل ناقص الإيمان فالمبني هنا كمال الإيمان لا أصله.

وأركان الإيمان ستة: دل عليها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبَرُّ أَن تُؤْلُوا وُجُوهَكُمْ قِبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلِكُنَّ الْبَرُّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ الآية، مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾.

ومن السنة أحاديث كثيرة منها: حديث جبرائيل - عليه السلام - عندما سأله الرسول ﷺ عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره». فالإيمان أن تقول: آمنت جازماً بذلك عملاً بمقتضى ذلك.

..... وأركانه ستة: أن تؤمن بالله^(١)،

والإيمان أخص من الإسلام، لأنه عبادة قلبية. وهو أفضل من الإسلام لأن الإسلام يكون من البر والفاجر، والإيمان لا يكون إلا من الأبرار.

(١) فائدة في بيان الركن الأول من أركان الإيمان:

الإيمان بالله تعالى: هو الاعتقاد الجازم والتصديق التام بأمور هي:

أ- وجود الله سبحانه وتعالى: أي: اعتقاد تفرده تعالى في أفعاله كالخلق والملك والتدبر مطلقاً، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الظَّلَلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالثُّجُومَ مُسَخِّرَاتٍ بِإِمْرِهِ إِلَهُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

ب- إفراده سبحانه بما ثبت له من الأسماء الحسنة والصفات العلى والأفعال الحسنة الدالة على كماله المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، والتنزه عن صفات النقص والعيب وعما شمله الخلق فيما هو من خصائصهم، قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُتَحْدُوْنَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَيَجْرِونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَكُنْ لَّهُ كَفِيلٌ وَلَمْ يُوَلَّدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾، وفي الحديث الصحيح قال أحد الصحابة في هذه السورة: هي صفة ربى فأنا أحبها فأقره النبي ﷺ على ذلك، وقال: «حبك إياها أدخلك الجنة»، وقال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدُهُ وَاصْطَبِرْ لِعِنْدِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَّاً﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ أَسْمَيُ الْبَصِيرِ﴾ الآية، وقال سبحانه: ﴿فَلَا يَضَرِّ بِهِ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فتضمنت تلك

النصوص إثبات الأسماء والصفات لله تعالى، ونفي النقائص وماثلة المخلوقات عنه سبحانه.

ج- واعتقاد أنه تعالى هو الإله الحق المعبد بحق الذي لا إله غيره ولا يستحق العبادة أحد سواه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّا نَحْنُ عَبْدُكَ وَنَحْدُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَنَّمَا يُرِيدُكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ الآية. وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَكْدُعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَعْلَمُ الْكَيْرٌ﴾ الآية.

د- وإخلاص العبادة له بقصد التقرب إليه تعالى بكل ما شرع وعلى الوجه الذي شرع، والبراءة من الشرك والبدع، وذلك بالبراءة من كل معبد من دونه، وكل عبادة وعابد لغير الله، فإن المنفرد بالخلق والملك والتدبير وغيرهما من أفعال الربوبية، والذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وبكل الاعتبارات في الذات والأسماء والصفات هو الإله الحق المستحق للعبادة من خلقه، وعلى هذا اتفقت جميع الكتب الإلهية والرسالات السماوية فإنها جاءت مقررة للمكلفين بتفرد الله تعالى بالربوبية والأسماء الحسنى وصفات الكمال منزهة له سبحانه عن السمي والمثال مطالبة إياهم أن يقصدوه ويطلبوه بخالص النيات والدعوات وصالح الأقوال والأعمال فيسائر الأحوال لينالوا ثوابه ويتقوا عذابه في الدارين.

وهذا الأصل هو أصل الأصول وأساس الملة وقاعدة الشريعة وشرط قبول العمل، فلا بد من معرفته وفهمه وتحقيقه بالقصد والقول والعمل والحذر مما يناقضه وينقصه ولزوم الاستغفار من ذلك والتوبة إلى الله عز وجل.

..... وملائكته^(١)،

(١) فائدة: الركن الثاني: الإيمان بالملائكة - عليهم السلام -، ويتحقق بأمور:

أ- الإيمان بوجودهم ومادة خلقتهم وحكمة خلقهم:

وذلك بالإيمان بأن الله تعالى ملائكة كراماً لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، خلقهم الله من نور، وأوجدهم تبارك وتعالى لعبادته، وجبلهم على طاعته، ونزعهم عن معصيته، وهم - عليهم السلام - محققون للحكمة من خلقهم، فهم يعبدون الله تعالى غاية العبادة ويطيعونه أكمل طاعة مشتغلون بتسبيحه وذكره ودعائه وتنفيذ أمره في ملكته وخلقه فهم رسلاه في تدبير ملكته والسفراء بينه وبين رسلاه من البشر، قال تعالى:

﴿جَاعِلُ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولَئِيْ أَجْنَاحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرِبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية، وقال سبحانه: **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَيِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَلَوْمَوْنَ يِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَأَعْفَرَ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَفِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (٦)

وقال عز وجل: **﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَيِّحُونَ أَيْلَلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْرُونَ﴾** الآية، وقال تبارك وتعالى: **﴿وَقَالُوا أَخْذُ الْرَّحْمَنَ وَلَدَّا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادُ مُكَرَّمُوكَ لَا يَسْقِفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾**.

ب- الإيمان بما جاءت به نصوص الكتاب والسنّة من أصنافهم ووظائفهم:

فقد توالت النصوص من الكتاب والسنّة في بيان طوائف الملائكة - عليهم السلام -، وذكر الوظائف التي يقومون بها الله عز وجل وأنها كثيرة:

- ١ - ف منهم: الم وكلون بحمل العرش وعددهم ثمانية ملائكة.
- ٢ - و منهم: ملائكة الوحي و رئيسهم جبرائيل.
- ٣ - و منهم: خزنة الجنة، و رئيسهم رضوان.
- ٤ - و منهم: ملائكة الأرواح و رئيسهم إسرافيل.
- ٥ - و منهم: ملائكة الأرزاق و رئيسهم ميكائيل.
- ٦ - و منهم: خزنة النار و رئيسهم مالك.
- ٧ - و منهم: الملائكة المعقبات المكلفون بحراسة الإنسان؛ فكل شخص موكل به أربعة من الملائكة ملكان يحرسانه بالليل و ملكان يحرسانه بالنهار، و يجتمع الأربعة في صلاة الفجر و صلاة العصر.
- ٨ - و منهم: الحفظة الكتبة الذين يكتبون الحسنات والسيئات، فكل إنسان معه اثنان واحد عن يمينه يكتب الحسنات والأخر عن شماليه يكتب السيئات.
- ٩ - و منهم: السياحون الذين يحضورون حلق الذكر و مجالس العلم و يحفون قراء القرآن.
- ١٠ - و منهم: ملائكة مكلفون بالأرواح الذين ينفخون الأرواح في الأجساد و يقبضونها عند الموت، أرواح المؤمنين تقبضها ملائكة الرحمة، و ملائكة العذاب تقبض أرواح الكافرين.
- ١١ - و منهم: المنكر والنكير اللذان يسألان الميت في قبره.

وهم طوائف كثيرة و لهم وظائف كبيرة، و سادتهم ثلاثة : جبريل، وإسرافيل، و ميكائيل، فهم أشرفهم ورؤسائهم.

ت - خلاصة مذهب أهل الحق في الملائكة:

فمذهب أهل السنة والجماعة في الملائكة ما يلي:

١ - الإيمان بالملائكة، من ذكر الله تعالى من أسمائهم وطوابعهم تفصيلاً.

٢ - الإيمان بمن لم يسمهم الله ولم يذكرهم إجمالاً.

٣ - الإيمان فيما دلت النصوص على أنهم يخضرون المسلم عنده.

٤ - محبتهم واحترامهم والأدب معهم والأنس بهم وحسن التأسي بهم في دوام العبادة لله تعالى والاشغال بذكره ودعائه.

٥ - الاعتقاد أنهم ليس لهم من خصائص الإلهية شيء.

٦ - تنزيتهم وبرئتهم مما زعمه الكفار فيهم من: أنهم إناث، وأنهم بنات الله، تعالى وتقديس عن ذلك علواً كبيراً، أو أنهم يشفعون عند الله تعالى بغير إذنه، أو يشفعون لأحد من أشرك به.

فيؤمن أهل السنة بوجودهم وصفتهم وما ذكره الله تعالى ورسوله ﷺ واتفق عليه السلف الصالح من طوابعهم وظائفهم وعلاقتهم بالملائكة، وأنهم قائمون بأعمالهم خير قيام.

وهكذا فيتحقق الإيمان بالملائكة:

١. الإيمان بمكانتهم عند الله تعالى.

وكتبه^(١).....

٢. الإيمان بمهامهم ووظائفهم التي دلت النصوص على تكاليفهم بها.
٣. الإيمان بأمانتهم وقوتهم في أداء ما كلفوا به وأنهم يؤدونه على وجه الكمال.
٤. الخدر من الغلو فيهم وإعطائهم شيئاً من خصائص أو حق الإلهية.
٥. تبرئتهم مما نسبه إليهم أهل الجاهلية من أنهم بنات الله تعالى - أو أنهم يشفعون عنده بغير إذنه أو يشفعون لمن أشرك به.
٦. الإيمان بصلتهم بك منذ نفخك الله روحًا في بطن أمك حتى وكل ملكان شهداء عليك، وآخران متعاقبان، ليحفظانك من أمر الله من الفجر إلى العصر، وآخران مثيلهما من العصر إلى الفجر.

(١) فائدة: الركن الثالث: الإيمان بكتب الله المنزلة:

وهو الاعتقاد - الجازم والتصديق التام - بما يلي:

- ١- أن الله تعالى كتبها على رسالته هداية خلقه متضمنة قواعد شريعته ومهاماته أحکامه.
- ٢- وتفصيلاً بما سمي الله تعالى منها كصحف إبراهيم، وصحف موسى وهي التوراة، والزبور الذي أنزل على داود، والإنجيل الذي أنزله على عيسى، وختمتها سبحانه بالقرآن الذي جعله الله تعالى مصداقاً لما فيها من الحق وحاكمها مهيمناً عليها ومشتملاً على أحسن ما فيها وناسخاً لما لا تحتاج إليه هذه الأمة من أحکامها معنيًا عنها أبد الدهر.

- ٣- وأنه لا يعلم عدد هذه الكتب إلا الله.
- ٤- واعتقاد أنها كلها كلام الله حقيقة تكلم بها كما شاء وعلى الوجه الذي أراد.
- ٥- وأنها حق وصدق وأن ما تضمنته حق ونور وهدى من أنزلت إليه من الأمم مشتملة على الشرائع التي تعبد الله بها كل أمة فواجب على الأمة التي خوطبت بها الانقياد لها والحكم بما فيها والحذر من مخالفتها.
- ٦- وأن نسخ الكتب الأولى بعضها بعض حق كما نسخت بعض الشرائع التي في التوراة بالإنجيل.
- ٧- وأن القرآن:

- أ- نسخ جميع الكتب السماوية.
- ب- وأغنى عنها فإنه اشتمل على خير ما فيها وأحسن منها.
- ج- أنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.
- د- وأنه كله حق وصدق محفوظ بحفظ الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ويعتقدون أنه كله حق وصدق ونور وهدى وموعظة وذكرى وشفاءً وضياءً، فيجب العمل به وتصديقه، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، والعمل بمحكمه، والإيمان والتسليم لتشابهه، والاعتبار بقصصه ومواعظه، والذب عنه، والنصح له ظاهراً وباطناً، وتلاوته آناء الله وأناء النهار تقرباً به إلى الله تعالى به والتماساً لبركته وهداه، وأنه لا يجوز ابتغاء الهدى من غيره لا الكتب المترفة السابقة ولا التنظيرات والتشريعات المخترعة المخالفة له.

ورسله^(١)،

(١) فائدة: الركن الرابع: الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

وهو الإيمان الجازم والتصديق التام بأن الله تعالى قد بعث أنبياءً ورسلاً من الناس، أرسلهم الله تعالى لدعوة الناس إلى عبادته وحده لا شريك له والنهي عن الشرك به الذي هو عبادة الطاغوت، بعثهم الله تعالى مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وأمرهم الله بالبلاغ وكففهم بالبيان والنصيحة وجعلهم شهداء على الأمم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الظَّالِمُونَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ بَعَثْنَا رَسُولاً﴾، رحمة من الله تعالى بعباده وإحساناً إليهم.

وأول الأنبياء والرسل أدم – عليه السلام –؛ فإنه صاحب شريعة بعثه الله إلى ذريته فهو أول نبي مرسل بطريقة خاصة بأهله وذریته، وأول الرسل بعد ظهور الشرك نوح – عليه السلام –، وأخر الأنبياء والمرسلين وخاتمهم محمد ﷺ وبينهم من الأنبياء والرسل من لا يحصيهم إلا الله تعالى.

ذكر سبحانه منهم في القرآن خمسة وعشرين نبياً ورسولاً منهم إبراهيم وموسى وعيسى ونوح ونبينا محمد ﷺ، وهم أولو العزم من الرسل، مذكورون في قوله تعالى: ﴿وَلَأَنَّا أَخْذَنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْهُمْ مِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَلِإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَتِينَ مَرْيَمَ وَأَخْذَنَا مِنْهُمْ مِنْهُمْ مِنْكَ غَلِيلًا﴾.

والإيمان بالرسل يتحقق بأمور:

أ- الإيمان بهم تفصيلاً بمن سمي الله منهم وقص من نبأه - وفيها ذكر لنا من بنائهم وقصصهم ما فيه كفاية وعبرة -، وإنما فيمن لم يسم ولم يقص عنه شيئاً.

ب- واعتقاد صدقهم وتصديقهم وأنهم بلغو جميع ما أرسلوا به إلى أنهم على الوجه الذي أمرهم الله به وأنهم يبنوه بياناً واضحاً لا يسع أحد من أرسلوا إليه جهله ولا يحل تركه ولا مخالفته.

ج- وأن الله تعالى أيدهم بالأيات البينات والمعجزات الواضحات الدالة على صدقهم حتى قامت بهم الحجة على الأمم ولم يكن لها عذر في تكذيبهم والإعراض عنهم وعما جاؤا به كل واجب على كل أمّة واتّباع نبيها الذي أرسل إليها.

د- اعتقاد أنهم خير الأمم على وعملها وأبرها قلوبها وأزكىها نفوساً وأكرمواها أخلاقاً وأشرفها أنساباً وأعرافاً، وأن الله تعالى اختارهم لرسالته على علم.

ه- وخصهم الله بفضائل وفضل بعضهم على بعض ويرأه من كل خلق رذيل.

و- منهم معصومون من الكذب والخيانة والكتهان ومعصومون من الخطأ فيما يبلغونه من أمور الدين مطلقاً وما يرشدون إليه من أمر الدنيا حازمين ومن كبار الذنوب وأما صغائرها فقد تقع منهم لكن لا يقررون عليها بل ينبهون بشأنها ويوقنون لتوبتها منها ومن الأمراض والأدواء المشوهة المنفرة للناس عنهم.

ز- محبتهم واحترامهم وتعظيمهم ويعزرونهم ويوقر ونهم ولا يغلو فيهم بل يعتقدون أنهم سادات عباد الله تعالى أكرمهم الله بالرسالة ووصفهم

بالعبودية في أعلى مقاماتهم وليس لهم من خصائص الربوبية والإلهية شيء.

ح- أن دعوتهم من أولهم إلى آخرهم دعوة واحدة فكلهم دعوا إلى الإسلام وهو عبادة الله تعالى والذل له وترك مخالفته الشرك به ومخالفته كما اتفقوا على أصول الشرائع وكليات الأحكام وأمهات الأخلاق.

ط- وهم من الإنس رجال، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِّي إِلَيْهِمْ فَتَشَاءُوا أَهْلَ الْذِكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فنؤمن بأنهم المبلغون عن الله المبينون للكتب المنزلة. وأولهم - قيل آدم، ثم نبي شيس، ثم إدريس، ثم أرسل نوح، ثم إبراهيم، ثم عيسى، ثم محمد، وبينهم ما شاء من الرسل، قال تعالى: ﴿الَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمُلْكِيَّةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِبْرَاهِيمَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

* الإيمان المجمل بالرسل: الإيمان ببشريتهم وأنهم خلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والإلهية، والتصديق الجازم ببعثهم إلى الأمم. وأنهم كلهم هداة مهتدون على الحق المبين. وأنهم جاءوا بالحق من عند ربهم. وباتفاقهم على أصل الدين واختلافهم في الشرائع. وبأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به تبليغاً قامت به الحجة على الأمم. وأنهم منصوروه مؤيدون من الله تعالى بالوحي وبالآيات وأن العاقبة لهم وأتباعهم. ويجب انعقاد تفاصيلهم.

ي- وأن الله تعالى ختمهم بسيدهم وإمامهم محمد ﷺ فبعثته برسالة عامة للجن والإنس وخالدة لا تنسخ ولا تبدل فلا نبي بعده فمن ادعى النبوة

والاليوم الآخر^(١)، ...

أو صدقه فقد كفر ومن كذب رسلاً فقد كذب جميع المسلمين وكفر برب العالمين إلى آخر الدهر وكان من قبله يبعثون إلى قومه خاصة ويعث بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إلى الجن والإنس كافة.

كـ - اعتقاد أن الله تعالى كما فضلهم على عامة الناس فقد فضل بعضهم على بعض فاتخذ الله إبراهيم خليلاً وكلم موسى تكليماً وخط له التوراة بيده وأتى عيسى بن مريم البينات وأيده بروح القدس، ورفع إدريس مكاناً عليه، قال تعالى: ﴿وَلَكَ أَرْسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَمَ اللَّهُ طَرِيقَهُ وَرَقَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَتِهِ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَّا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ أَخْتَلَفُوا فِيهِمْ مَّنْ ظَانَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَكَ أَنْتَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، وكذلك اتخاذ الله محمداً خليلاً وهو أكمل من إبراهيم في الخلقة وعرج به إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج فأدناه الله تعالى إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام بالمقادير وكلمه الله كفاحاً وخصه بفضائل لا يلحقه فيها أحد إذ لم تعطى لأحد قبله.

(١) فائدة: الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

وهو يوم البعث والحساب والجزاء فيجب الاعتقاد الجازم والتصديق التام بصدق ما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة، وأجمع سلف الأمة على ما يكون من شأن اليوم الآخر وما يجري فيه من الأحوال والأحوال وما

يكون في العرشات إلى أن يستقر أهل كل دار في دارهم أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار على نحو ما جاءت به النصوص فيجب الإيمان بكل ما اشتمل عليه اليوم الآخر من:

أ- البعث:

وهو إحياء الموتى بإعادة الأبدان ونفع الأرواح فيها وقيامها لرب العالمين للحكم بينهم وفصل القضاء فيما اختلفوا فيه، وأخذ الحقوق لأهلها وتقرير الناس كل عامل بما عمل، وبيان صدق ما أخبرت به الرسل من أمر الآخرة وتصديق أهل العلم والإيمان وصدق شهادتهم بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهَدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمْوَثُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لِيَبْيَنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَوْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، وقال سبحانه: ﴿بَلِّي وَرِيقٌ لِتَبْعَثَنَّ مِنَ النَّبِيُّونَ بِمَا عَلِمْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَنَ لَقَدْ لَيَشْتَمُّ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثَةِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثَةِ وَلَكِنَّكُمْ كُسْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، وقال ﷺ: «لتأدلون الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»، فبعث الناس وقيامهم لرب العالمين: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، كل ذلك حق ثابت يحجب الإيمان به وإنكاره كفر وضلال مبين.

ب- الحشر:

وهو جمع الناس في موقف القيامة قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ الْنَّغَابَةِ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ وصح عن النبي ﷺ قوله: «أيها الناس إنكم محشرون إلى زبكم حفة عراة»، أي: غير مختونين.

ج- العرض والحساب:

وهو توقيف الله العباد على أعمالهم - قبل الانصراف من المحشر - خيراً كانت أو شراً.

* فيعرض المؤمنون على ربهم تبارك وتعالى فيكررهم بأعمالهم ويستر عنهم ذنوبهم قال ﷺ: «إنما ذلك العرض ومن نوتش الحساب فقد هلك...» الحديث.

* وأما الكفار فيناقشون بأعمالهم صغيرها وكبیرها قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَنْتَهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَنَهُ اللَّهُ وَسُوءُهُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

* فيحاسب الله الخلائق وينخلوا بعده المؤمن يقرره بذنبه، وفي الحديث: «لا تزول قدم عبد حتى يسأل...» الحديث، فالمؤمنون توزن حسناتهم وسيئاتهم ويقررون بثوابها ليظهر الفضل والعدل، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن لهم حسنات أصلاً، ولكن يقررون بأعمالهم فتعد عليهم وتحصى ويوقفون عليها ويقررون بها فيعرفون بها.

د- صحف الأعمال:

ثم تخرج للجميع كتب أعمالهم فتتطاير إلى أيديهم فأخذ كتابه بيمنه، وأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتَكَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ تُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ وينقلب إلى أهله

مسروراً ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُتِيَ كِتَابَهُ وَرَآهُ ظَهِيرَهُ ﴾ فَسَوْقَ يَدْعُونَ ثُبُورًا
﴿ وَيَصْلِي سَعِيرًا ﴾ الآيات.

٥- الموازين والوزن:

ثم ينصرف الناس إلى العرصات التي فيها الموازين، وهي موازين حقيقة (ميزان حقيقي له كفتان) لإظهار العدل والفضل، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ
الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا ظُلْمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّكَةٍ مِنْ حَرَدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِينًا ﴾ الآية، وقال سبحانه: ﴿ فَمَنْ ثَقَلَتْ
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمِ خَلِدُونَ ﴾ الآية، فتوزن:

١- الأعمال لحديث: «سبحان الله والحمد لله ملآن الميزان».

٢- صحف الأعمال: «الحديث البطاقة».

٣- العمال لقول النبي ﷺ: للصحابي رضي الله عنهم بشأن ابن مسعود رضي الله عنه: «تعجبون من دقة ساقيه لها في الميزان أثقل من جبل أحد» وحديث: «يؤتى بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة».

فيجب الإيمان بها جاءت به النصوص من مقدمات اليوم الآخر وما فيه من العerusات والأحوال والأحوال والجزاء، وتؤمن بأنه يوم الجزاء على الأعمال، قال تعالى: ﴿ لِيَجْرِيَ الَّذِينَ أَسْتَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْرِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى ﴾، ولبيين الله صدق رسالته قال تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَرَوْا لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾.

وبالقدر خيره وشره^(١).

(١) الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره:

أ- تعريف القدر:

القدر لغةً: هو الإحاطة بمقادير الأمور. وشرعًا: هو سبق علم الله تعالى بالأشياء قبل كونها على ما هي عليه، ثم كتابته تعالى لذلك ومشيئته لما كان أن يكون، ولما لا يكون أن لا يكون، وخلقه لكل مخلوق.

ب- حقيقة الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر هو الاعتقاد الجازم واليقين التام بأنه ما من شيء إلا وقد علمه الله وكتبه في الكتاب السابق وشاء وجود الموجودات وخلقها على وفق ما سبق به علمه وجرى به قلمه واقتضته حكمته من ترتيب المسبيات على أسبابها، والمنتونات لوجود موانعها فيتتحقق الإيمان بالقدر بالإيمان بدرجاته الأربع، وهي:

١- الإيمان بعلم الله السابق بما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ويدخل في ذلك أفعاله تعالى وأفعال عباده قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُكْلِ شَيْءٌ عَلِيمٌ﴾.

٢- كتابة الله تعالى لكل ذلك العلم في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي آزْرِ﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكِبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴿، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ

عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١﴾، وَقَالَ يَعْلَمُهُ مُخْبِرًا عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَكَتَبَ فِي الْذِكْرِ
كُلَّ شَيْءٍ...» الْحَدِيثُ.

٣ - مشيئة الله تعالى النافذة وإرادته الشاملة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ
نَفْسٍ هُدًّنَاهَا﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا
يُرِيدُ﴾.

٤ - خلقه تعالى لكل شيء فلا خالق غيره كما لا رب سواه، والدليل قوله تعالى:
﴿اللَّهُ خَلِقَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ
تَقْدِيرًا﴾.

فلن يؤمن أحد بالقدر ولن يجد حلاوة الإيمان حتى يؤمن أن ما أخطأه لم يكن
ليصييه وما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما فعله الناس فهو ماضٍ وأن كل
حادث وكل ما فعله الناس فهو ماضٍ قد فرغ منه، لقوله ﷺ: «جفت الأقلام
- وفي مطوية الصحف -» الْحَدِيثُ.

وقد دل على خلق الله تعالى لأفعال العباد أدلة، منها:

١ - قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ فلا يخرج
شيء عن خلقه سبحانه .

٢ - قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، فأخبر تعالى عن خلقه لأعمال
عباده خيرا وشرها. ووجه ذلك أن أعمال العباد ناتجة عن إرادات منهم
وقدر وقعت بها تلك الأعمال والله تعالى خالق تلك الإرادات والقدر
وخلق السبب خالق للمسبب، ولا ينافي ذلك جراءهم عليها فإنهم إنما
يجزون على استعمالهم ما خلق الله فيهم من الإرادات والقدر فإن

استعملوها في الطاعة كانوا أهلاً للثواب، وإن استعملوها في المعصية كانوا مستحقين للعقاب، فأعماهم من الله خلقاً وإيجاداً، ومنهم تسبباً وكسباً، وثوابهم عليها فضل من الله، وعقابهم عدل منه سبحانه في مستحق العقاب ولا يظلم ربك أحداً.

وأفعال العباد كلها مقدورة، أي: معلومة لله تعالى بعلمه السابق ومكتوبة في اللوح المحفوظ ولم تقع منهم إلا بمشيئة الله وخلقه لكن فرق بين المحمود منها والمذموم فلكل فعل حكمه ولكل عملٍ جزاءه:

أ- فما وافق الشرع فهو طاعة لله تعالى إما واجبة أو مستحبة والله تعالى يحبها ويرضاها ويحمد فاعلها وينبيه عليها وما خالف الشريعة فهو معصية محمرة يسخطها الله تعالى ويسلط على فاعلها عمداً و اختياراً ويدمه ويعاقبه.

فالقدر كله خير باعتبار أنه من الله تعالى فهو حق ولحكمة وهو دائر بين الفضل والعدل.

ب- وأما الشر في القدر فباعتبار شؤم قصد العبد المخالف للشرع، وما يصيبه من ضرر وعداب بسيبه، فالشر ليس في القدر والقضاء فإنما فعل الله تعالى وكلاهما حق وحكمة، وإنما الشر في المقدور والمقضي المخالف للشرع فالجزء عليه حق وعدل فإن عفا الله تعالى عن العاصي فذلك فضل، وإن عاقبه فهو عدل، فإن قدر الله تعالى حقاً واقعاً موقعه بحيث لا يصلح غيره بدلاً عنه، والله تعالى هو العليم الحكيم الذي يضع الأمور مواضعها اللائقة بها ولا يظلم ربك أحداً، ولا يتصرف تعالى سفهاً، وكل من اتهم الله تعالى في قدره وقضائه فقد طعن في علم الله تعالى وحكمته ورحمته، وطعن في ربوبيته وتدبيره لملكه، ومن أدلة ذلك قوله تعالى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ»

إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
 لِكَيْلًا تَأْسُوا عَلَىٰ مَا فَاتُوكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَيْتُكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
 كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾.

فالله تعالى قدر المقادير فجعل لكل شيء ما يقابلها وذلك هو ترتيب المسببات على أسبابها وإيجاد المتضادات لغايتها وحكمها، قال ﷺ: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء علمه وجهله من جهله»، وقال ﷺ: «الدعاء والبلاء يتعلجان بين السماء والأرض فيغلب الداء البلاء» الحديث.

فالداء والدواء والدعاء والبلاء ونحو هذه الأمور كلها مما علمه الله تعالى وكتبه وشاءه وخلقه، وغلبة الواحد من هذه الأمور للآخر ودفعه له هو من تدبير الله تعالى لملائكة وخلقه الواقع بعلمه وحكمته ومشيئته وقدرته والدائر بين رحمته وفضله وعدله.

فالواجب الإيمان بالقدر والعمل بالشرع قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ
 عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُّدُونَ إِلَى عَلِيهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَدَةُ فَيُنَتَّشِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ﴾ الآية.

وقال ﷺ: «اعملوا بكل ميسر لما خلق له»، وقال ﷺ: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان».

فلا يجوز إنكار القدر، ولا معارضته بالشرع، ولا التواكل وترك العمل، ولا الاحتجاج بالقدر على المعاصي والكسل، ولا القول بالجبر فإن هذه كلها من ضلالات اليهود والنصارى والمرجعى ومن بدع أهل الأهواء وزندقة الملحدين.

والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الِّرَّأْسُ إِنْ تُوَلُوا وُجُوهُكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الِّرَّأْسَ مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ . ودليل القدر: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾ ^(١).

المرتبة الثالثة: الإحسان^(٢)، ركن واحد، وهو أن تعبد الله كأنك.....

(١) فائدة: وجه ارتباط أركان الإيمان بعضها بعض:

أولاً: أن الإيمان بها من الإيمان بالغيب.

الثاني: أنها أركان عملية ينبغي أن تستحضر في كل مقام وحال.

فيجب أن يعتقد: أنه ما يكون من حادث ولا عمل من مكلف من كلمة أو نية أو فعل ونحو ذلك إلا والله تعالى قد علمه وتعبد المكلف بشأنه، وأن الملائكة تكتبه في الصحف، وأن الكتب اشتغلت على حكمه نصاً أو معنى، وأن الرسل عليهم الصلاة والسلام بينوا ما اشتغلت عليه الكتب بشأنه، وأن المكلف مجزي به في اليوم الآخر، وأنه كله واقع بقدر سابق وقضاء لاحق، هكذا كل حادث من حرمة أو سكون أو وجود أو عدم أو عمل من فعل أو ترك. وبهذا يتبيّن لك الارتباط الوثيق بين أركان الإيمان الستة الخ.

(٢) فائدة: الإحسان: هو أن تعبد الله تعالى على أحسن وأجمل وجه تستطعه، وهو أضيق وأعلى مراتب الدين وأفضلها وأكملها، ذلك:

أ- لأن الإسلام هو الإسلام ظاهراً الله تعالى بالأقوال والأفعال الظاهرة المشهودة من الناس، وقد يكون الإسلام حقيقةً موافقاً للباطن وقد يكون نفاقاً، فالإسلام يشمل كل من نطق بالشهادتين وأتى بأركان الإسلام واجتنب نواقضه الظاهرة.

.....^(١) تراه ..

ب - وأما الإيمان فهو الاعتقادات والأعمال الباطنة القلبية، فالإيمان ما وافق الباطن فيه الظاهر الشرعي وانقاد له.

ج - فيتبين بذلك أن الإحسان أعلى المراتب لأنه يشمل الإحسان في عبادة الله تعالى والإحسان في معاملة خلقه ولا يكون ذلك إلا بموافقة الشرع مع إخلاص القصد وتحري السنة.

* فأهل الإحسان قليلون في أهل الإيمان، وأهل الإيمان قليل في أهل الإسلام، وأهل الإسلام قليل في أهل الشرك، وهذا وصفوا في الحديث بأنهم كالرقعة في ذراع الحمار ، وبالشعرة الحمراء في جلد الثور الأسود.

(١) فائدة: حقيقة الإحسان أن تعبد الله تعالى في مقامين:

أ - مقام المشاهدة: وهي أكمل المرتبتين وأفضل المقامين - وهي تقتضي كمال الإخلاص مع كمال الإحسان، فيؤديها - أي: العبادة - كأنه يشاهد الله، لأن الله إنها حال بين المؤمنين وبين رؤيته في هذه الحياة الدنيا، ليتميز من يؤمن بالغيب من غيره، ولأن النظر إلى وجه الله الكريم هو أعلى وأشرف نعيم الآخرة وهو جزاء تصديق الله تعالى والانقياد له، والتصديق بخبره ووعده.

ب - مقام المراقبة: أي: أن تستحضر أن الله يراك بأن تعتقد ذلك، وذلك يبعث على الخوف والوجل من الله عز وجل، وغاية الأدب ومرتبة المراقبة، أقل شأنًا من مرتبة المشاهدة.

فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(١)، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أُتْقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾الَّذِي يَرَكَ حِينَ تَقُومُ﴾

فالحاصل: أن النبي ﷺ فسر الإحسان في قوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» بمقامين هما:

١. مقام المشاهدة.

٢. مقام المراقبة.

ومن أسباب التحليل بهاتين المرتبتين: صحة العلم، وصحة النية، وحسن العمل، والاعتراف بالقصير في حق الله تعالى والتوبة منه والتخلص عن ظلم الخلق، والإحسان إلى مستحقه منهم.

ويتحقق الإحسان في عبادة الله تعالى بأمرتين:

الأول: بالإتيان بالواجبات وتمكيلها بجنسها من النوافل المستحبات.

الثاني: باجتناب المنهيات واتقاء الشبهات.

ففي الإحسان في عبادة الله تعالى الصدق ظاهراً وباطناً والجمع بين حسن السريرة وجمال السيرة.

أما الإحسان إلى الخلق فيتحقق بأمرتين:

أحدهما: كف الأذى عنهم.

والثاني: تحمل أذى المؤذين منهم والإحسان إليه ما كان في ذلك مصلحة راجحة.

(١) كما يدل على الإحسان قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية.

﴿ وَنَقْلُبَكَ فِي السَّجِدَيْنَ ﴾^(١)، قوله تعالى: «وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا نَتْلُوْ مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفْيِضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزِبُ عَنْ رَّيْلَكَ مِنْ مِنْقَالٍ ذَرَّةً فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ».

والدليل من السنة: حديث جبريل المشهور، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(١)، قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب^(٢)، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر سفر، ولا يعرفه منا أحد، فجلس

(١) فائدة: هذه الرواية لحديث جبريل المشهور خرجها الإمام مسلم – رحمه الله تعالى - عن ابن عمر عن أبيه – رضي الله عنها –، وهي مما انفرد بها مسلم عن البخاري، والرواية المتفق عليها هي الرواية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل، فقال: ما الإيمان؟ فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقاءه ورسله، وتؤمن بالبعث»؛ قال: وما الإسلام؟ «قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقسم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»؛ قال: وما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك...» الحديث.

لكن أهل العلم لا يذكرون كثيراً هذه الرواية المتفق عليها لأنه ليس فيها ذكر الإيمان بالقدر؛ بل يذكرون رواية مسلم لحديث ابن عمر عن أبيه لذكر القدر فيها حيث اجتمعت فيها أركان الإيمان الستة.

(٢) يؤخذ من هذا الحديث: أن على طالب العلم أن يحضر مجلس العلم بأحسن هيئة، وبأدب ووقار وحسن الثياب؛ وأن يتوجه إلى الشيخ أو المحدث ليأخذ عنه، وأن يحرص على فهم ما يسمعه من العلم، وأن يسأل عن المهم.

إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه^(١)، ووضع كفيه على فخذيه^(٢)، وقال: يا محمد^(٣)، أخبرني^(٤) عن الإسلام^(٥)? قال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن: تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتنوي الزكاة، وتصوم

(١) أي: كهيئة الحال بين السجدين. وفيه أيضاً: الأدب عند السؤال عما لا يعلم، وهو أن يقول: ما المسؤول عنه بأعلم من السائل، أو لا أدرى، أو الله أعلم.

(٢) أي: فخذ جبريل.

(٣) هذا الخطاب بلفظ: «يا محمد» فيه جفوة في حق النبي ﷺ؛ لأن اللائق أن يقول: يا رسول الله، يا نبي الله، ولكنه يغتفر لأنه أراد التعمية على الحاضرين حتى لا يعلموا به إلا بعد أن يؤدي مهمته.

(٤) على طالب العلم أن يقبل على العلم بشغف، وعليه أن يفتح قلبه وأذانه لتلقي العلم ويقبل على العلم ويصغي إليه.

(٥) لأهل العلم قاعدة: أن الإسلام إذا ذكر وحده فيفسر بمعناه ومعنى الإسلام معاً، فيشمل كمال التصديق والاستسلام والعمل رغبة ورهبة ظاهراً وباطناً، وكذا الإيمان إذا ذكر وحده، فيصير معناهما واحداً عند الافتراق.

أما إذا اجتمعا - كما هنا -، فالإسلام يشمل الظاهر من القول والعمل والإيمان يشمل الاعتقاد والقول والعمل القلبي فأصبح لكل منها معنى خاص به، فنقول: إذا افترقا في الذكر اجتمعا في المعنى، وإذا اجتمعا في الذكر كان لكل منها معنى.

رمضان، وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه^(١). قال: أخبرني عن الإيمان^(٢)? قال: «أن تؤمن: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبال يوم الآخر، وبالقدر خيره وشره»^(٣)، قال : أخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه»^(٤) فإنه يراك». قال: أخبرني عن الساعة^(٥)؟.....

(١) لأن تصديقه دليل على أنه ذو علم، وأنه إنما سأله ليفيد، فيؤخذ منه: أنه على طالب العلم أن يسأل عما أشكل وإن كان يعلم يسأل ليفيد الحاضرين إذا علم حاجتهم إلى ذلك ولم يكن فيه إرجاع للمسئول.

(٢) الإيمان هنا الأعمال القلبية.

(٣) الإيمان بالقدر خيره وشره: أحد أركان الإيمان وأصوله الستة، وله تعلق بالربوبية، ومن جحده كفر، لأنه مكذب لله تعالى وهو يقول: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، والقدر لم يذكر في أصول الإيمان إلا في هذه الرواية من هذا الحديث عند مسلم، ولذا يكثر أهل العلم من الاستشهاد به.

(٤) أي: كأنه ليس بينك وبينه حجاب. فإذا غفلت عن ذلك لنقص علم أو لشهوة، فاعلم أن الله يراك.

(٥) **فائدة:** السؤال عن الساعة ليتعلم الناس:

أ- عدم السؤال عما لا فائدة عملية له.

ب- ليقول من لا يعلم: الله أعلم، كما أن الحديث يفيد: أن على الطالب أن يسأل عن الأمور المهمة.

قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل^(١). قال: أخبرني^(٢) عن أماراتها^(٣)?
قال: «أن تلد الأمة^(٤).....»

(١) فيه: أن من علم شيئاً قال به، ومن لا يعلم قال: لا أعلم، أو قال: الله أعلم.

(٢) ولما كان هذا السؤال لا جواب عليه لأن النبي ﷺ ليس عنده علم الساعة
فإنما استأثر الله بعلمه تنزل جبريل عليه السلام عن السؤال عن الساعة إلى
السؤال عن أشراطها، أي: علاماتها. ومن فوائد الحديث:

١ - أن على طالب العلم خاصة والمسلم عامة أن يسأل أهل العلم بما يشكل
عليه من أمر دينه.

٢ - ينبغي عدم الإكثار من السؤال لأنه مظنة الغرور، وإحراج المسئول. وقد
يكون سبباً في تشديد الأمر الميسر، وغاية ما يحفظ من الأسئلة التي
وجهت إلى النبي ﷺ في المجلس الواحد أو من الشخص الواحد إذا لم
 يكن في المجلس غيره ستة أسئلة أو سبعة.

٣ - أن طالب العلم قد يسأل أحياناً عن أمر يعلمه ليفيد غيره من الحاضرين إذا
 كانوا بحاجة إلى موضوع سؤال أو لذهول الشيخ عن البيان لما ينبغي بيانه.

٤ - إقبال المتعلم على المعلم ليأخذ عنه اغتناماً لفرصة وجوده، وعليه إلا يكثر
الأسئلة، أربعة فقط، ولذا كان الصحابة - رضي الله عنهم - يفرحون
بمجيء الأعراب لعلهم يسألون النبي ﷺ، وإذا لم يأتوا جاء جبريل عليه
السلام فسأل.

(٣) أو أشراطها، أي: علاماتها.

(٤) هي الجارية المملوكة بملك اليمين.

ربتها^(١)، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء^(٢) يتطلدون في البنيان^(٣)). قال: فمضى، فلبثنا ملياً، فقال: «يا عمر أتدرون من السائل»، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا جبريل أناكم^(٤).....».

(١) قال بعض أهل العلم: هذا بيان ما يبلغ الأولاد من الجفاء والعقوق بآبائهم وأمهاتهم، حتى يكونوا كالأرقاء عندهم.

وقال: آخرون من أهل العلم: إن هذا كناية عن كثرة الفتح واسترقاء النساء المسيطرات حتى تدور الأمة على الرجال بالبيع أو الهبة ونحو ذلك حتى يمتلكها ابنها وهو لا يعلم أنها أمه، أو تلد الأمة من سيدها ابنًا له، فيسودها لأنه حر وهي أمة تعقد بموت أبيه، وهذا قد وقع.

(٢) في رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «البهم» وهو الصفة، و«البهيم» الاسم.

(٣) فيه دليل على انقلاب الموازين وتغيير الأحوال حتى تكون الدنيا لمن كان ذو نظر ضيق. أو تكون الدنيا للحقير التافه، وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لـكع بن لـكع».

(٤) وذلك أنهم كانوا منعوا السؤال - حذرًا من التكلف والاختلاف أو التسبب في تشديد التشريع، وكان تعليمهم يحصل بأمر يقيضها الله لهم، فتارة يجيء أعرابي فيسأل وهم يسمعون، أو يأذن الرسول ﷺ لهم بالسؤال، أو يبتدرهم هو بالسؤال. وكان جبريل عليه السلام يأتي - غالباً - في صورة دحية الكلبي أحد الصحابة وهو ذو سمت حسن ووقار وكان أحياناً يأتي راجلاً وأحياناً على فرس. وهذه المرة لم يأت جبريل في صورة دحية، ولا في صورة أعرابي، لأنه جاءهم على الهيئة الواردة في هذا الحديث: «شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر»، فكانه من أهل المدينة، ومع ذلك لا يعرفه من الصحابة أحد، وكان ذلك في حجة الوداع في السنة التاسعة على الصحيح.

يعلمكم أمر دينكم»^(١).

الأصل الثالث^(٢):

(١) وجه الاستدلال بحديث جبريل: أنه دل على أن مراتب الدين ثلاثة هي:
الإسلام والإيمان والإحسان.

(٢) فائدة: هذا من الشيخ - رحمه الله - بيان للأصل الثالث:

وهو معرفة نبينا محمد ﷺ لأن النبي المرسل والإمام المكمل والشافع الأعظم،
والذي لا يقبل الله ديناً - بعد بعثته - إلا دينه، ولا يقبل إتباعاً إلا إتباعه. فإن
معرفته ﷺ حقاً تقتضي من العاقل المنصف الشهادة له بالنبوة والرسالة،
وإتباعه على ما جاء به، والبراءة من جحد نبوته ورسالته ودعوته أو تنقصه أو
غلى فيه وعده مع الله تعالى.

وتتحقق معرفة النبي ﷺ بأمور منها:

١ - معرفة اسمه الكريم ونسبة الشريف، وأنه محمد بن عبد الله المطليبي
الهاشمي القرشي، وينتهي نسبة الشريف إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل
عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأذكى التسليم.

٢ - معرفة بلده ونشأته ومهاجره وبلد وفاته والسن التي بلغها قبل أن يتوفى.

٣ - معرفة نبوته ورسالته كيف نبأ وكيف أرسل وأدلة ذلك. وأنه بلغ جميع
رسالاته، وبين لأمته كل ما أوحى إليه من ربه.

٤ - معرفة حياته النبوية ابتداؤها ومراحلها.

٥ - معرفة مضامون نبوته ورسالته ومراحل دعوته وهجرته وجهاده.

معرفة نبكم محمد ﷺ^(١):

٦- معرفة خصائصه من عموم رسالته وكمال شريعته ونسخ دينه للأديان قبله وختم النبوة به وما اختص به يوم القيمة.

٧- العلم والاعتقاد بموته ﷺ وبقاء دينه يتبعه الثقلان إلى أن يأتي الله بأمره وهذه الأمور كلها سببها المؤلف في هذا الأصل الثالث، وتمام ذلك البيان بالفوائد المعلقة على هذا الأصل - إن شاء الله تعالى - .

(١) فائدة: معنى شهادة أن محمداً رسول الله: الإخبار القاطع عن اعتقاد قلب الشاهد المقتضي للعمل أن محمداً بن عبد الله الهاشمي القرشي رسول الله تعالى إلى جميع الثقلين يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى بها شرع بواسطته من طريق وحيه إليه، وتقتضي هذه الشهادة من الشاهد أموراً عدّة:

الأول: تصديقه فيما أخبر فإن الرسول لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

الثاني: طاعته فيما أمر فإنه لا يأمر إلا بطاعة الله تعالى قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنَّ تَوْلِيتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُسْتَقِرُ﴾ الآية.

وقال: ﴿فَلَيَحْذِرِ الَّذِينَ يَخْالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ آن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الثالث: اجتناب ما نهى عن وجزر فإنه يبلغ عن الله دينه فما نهى عنه فهو معصية لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِرَسُولِي فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهُوا وَأَنْقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الآية.

الرابع: أن لا يعبد الله إلا بما شرع فإن الله تعالى نسخ بشرعه الأديان السابقة، قال تعالى: ﴿أَتَيْعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلَا قَنْتَعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْ لِيَأْكُلَ مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

الخامس: اعتقاد أنه ليس له شيء من خصائص الربوبية فلا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًا ولا رشدًا ولن يجبره من الله أحد وليس له شيء من تدبير الملك وتصريف الكون، وبذلك يعلم أنه ليس له بِلِهِ من خصائص الإلهية شيء، فليس له حق في العبادة فلا يدعى مع الله تعالى ولا يستغاث به ولا تشكي الشدائيد إليه ولا يذبح له لطلب شفاعة ولا غيرها ولا ينذر له لأن ذلك حق خالص لله وحده، وأما هو بِلِهِ فإنه عبد لا يعبد ورسول لا يكذب.

السادس: من تحقيق شهادة أن محمد رسول الله تصدقه فيما أخبر، فإنه لا يقول على الله وفي دين الله إلا الحق قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿١﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَيْنَا بَعْضَ الْأَفَوَيْلِ﴾ لَا خَذَنَا مِنْهُ يَا لَيْمَيْنِ ﴿١٠﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتَنِ ﴿١١﴾ فَمَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّهُ لِذِكْرَهِ لِلْمُقْتَدِرِينَ ﴿١٣﴾، وقال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَبْنُ الْعَاصِ: «أَكْتُبْ - يَعْنِي: الْحَدِيثَ - فَوَاللَّهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ - وَأَشَارَ إِلَيْهِ - إِلَّا الْحَقُّ».

وعصمت الرسل عليهم الصلاة والسلام فيما يبلغون من الدين من مسائل الإجماع التي أجمع عليها المسلمون، والقول بخلافة قدح في منصب النبوة والرسالة وقدح في سند الشريعة والسنّة. وهكذا ما يبلغونه من أمر الدنيا جازمين.

السابع: شهد الله على صدق نبيه ﷺ بقوله: «لَكِنَّ اللَّهَ يَسْهُدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ أَنْزَلَهُ بِعِلْمٍ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهُدُونَ وَكُفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا»، وبفعله حيث أيد رسوله والمؤمنين بالآيات البينات وألوان البراهين القاطعات وتمكينهم من رقاب أعدائهم وجعل الدائرة لهم على عدوهم وبإقراره له على ما يقوله

ويفعله مما ينسب إلى ربه، فلو كان كاذباً عليه - وحاشاه - لعاجله بالعقوبة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولَّ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَوِيلِ﴾ لَأَخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ فَمَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ عَنْهُ حَاجِزٌ﴾، ومن أسمائه سبحانه وتعالى الشهيد، أي: المطلع الذي لا يغيب عنه شيء؛ بل هو مطلع على كل شيء عالم بتفاصيله، ومن ذلك أمر نبيه ﷺ ودعوته وأحوال من استجاب له ومن عارضه وعاداه.

الثامن: خصائص النبي ﷺ هي: ما فضل الله تعالى به على غيره من المرسلين والنبيين عليهم من ربهم أفضل الصلاة وأذكي التسليم، وهي كثيرة أفردها بالتصنيف جماعة من أهل العلم رحمهم الله تعالى؛ فمن تلك الخصائص:

أ- ختم النبوة والرسالة به ﷺ فلا يبعث نبي بعده يبدل دينه أو ينسخ شريعته قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾، وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «وختم بي النبيون»، وإذا ختمت النبوة فقد ختمت الرسالة لأن النبوة أول الرسالة وأصلها، وقد أجمعت الأمة على هذه العقيدة - عقيدة ختم النبوة - به ﷺ، وأجمعت على تكفير مدعى النبوة بعده من أمهاته، ووجوب قتل من يدعى بها - إن أصر على ذلك -، وعلى كفر من صدقه و على قتله إن لم يرجع عن تصديقه، كما قاتل الصحابة رضي الله عنهم مسيلمة الكذاب وأتباعه حتى قتل مسيلمة وقتل من لم يكفر بنبوته ويكتبه، ويحدد إيمانه بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ولا يشكل على هذا ما تواترت به النصوص من نزول المسيح بن مریم - عليه السلام - في آخر الزمان، فإنه - عليه السلام - لا يأتي بدين وشرع

جديد وإنما ينزل خليفة للنبي ﷺ في أمته يحكمهم بشرعية الإسلام ويهلك الله في زمانه الملا، المنسوخة والأديان الباطلة.

بـ- أن الله تعالى أيده بالقرآن العظيم الذي هو أعظم آيات الأنبياء والمرسلين على الإطلاق، وهو الكتاب المحفوظ من التبدل أو التغيير أو النسخ إلى أن يرفع في آخر الزمان وهو أبلغ لآيات وأنفعها، قال تعالى: ﴿أَوْلَئِ
يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتَلَوَ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةً
وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ
لَرَأَيْتُمْ خَشْعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتَلَكَ الْأَمْتَلُ نَضَرِّهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَنْفَكِرُونَ﴾، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله أمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أو حاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم
تابعًا يوم القيمة».

ج- عموم رسالته ﷺ لكافحة الثقلين الجن والأنس من حين بعثه الله وإلى أن تقوم الساعة، فقد كان الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله يبعثون إلى أقوامهم خاصة أما هو ﷺ فبعث إلى الناس كافة إلى يوم القيمة، قال تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا»، وقال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ»، وقال سبحانه: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»، وقال تعالى: «فَلَمَّا يَأْتِهَا الْأَنْسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمْتَدِّ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَلَّمَّى الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلَمْبَتِهِ وَأَتَيْعُوهُ لَعَلَّكُمْ

تَهْتَذُونَ ﴿٣﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَئِ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهِيدًا قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بِيَنِي
وَيَسِّرْكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأُنذِرُكُمْ بِهِ، وَمَنْ بَلَغَ أَيْشَكُمْ لِتَشْهَدُونَ أَنَّكُمْ مَعَ اللَّهِ
إِلَهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَاَ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحْدَهُ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، أي:
المخاطبين وكل من بلغه القرآن من اللاحقين إلى يوم الدين، وفي
الصحيح أيضاً عنه ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست...» الحديث،
وفيه: «وأرسلت إلى الناس كافة»، وفي الصحيح أيضاً عنه ﷺ قال:
«والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني، ولا يؤمن بالذي
أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

- د- أن أمهـة المستجيبة له خـير أمة أخـرجـت للناس فـهم خـير الأمـمـ قال تعالى:
﴿كُـسـتـمـ خـيرـ أـمـةـ أـخـرـجـتـ لـلـنـاسـ تـأـمـرـ وـنـ بـالـمـعـرـوفـ وـتـنـهـوـتـ عـنـ الـمـنـكـرـ
وـنـؤـمـنـوـنـ بـالـلـهـ وـلـوـ ءـامـنـ أـهـلـ الـكـتـبـ لـكـانـ خـيرـاـ لـهـمـ مـنـهـمـ الـمـؤـمـنـوـنـ
وـأـكـثـرـهـمـ الـفـسـقـوـنـ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً
وَسَطَا لِتَكُونُوا شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. وثبت في
الصحيح عنه ﷺ قوله: «أنتم توفون يوم القيمة سبعين امة انتم خيرها
وأكرمها على الله عز وجل».

- هـ أنه ﷺ سيد ولد آدم عليه السلام يوم القيمة، فهو خـيرـهـمـ وأـشـرـفـهـمـ
وأـحـبـهـمـ إـلـيـ اللـهـ تـعـالـيـ، وـكـلـ الـمـرـسـلـيـنـ وـالـنـبـيـنـ خـيرـ وـشـرـيفـ وـحـبـيـبـ عـنـدـ
الـلـهـ عـزـ وـجـلـ، لـكـنـهـ ﷺ مـقـدـمـهـمـ وـأـكـرـمـهـمـ عـلـىـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ، فـإـنـ الـأـنـبـيـاءـ
وـالـمـرـسـلـيـنـ هـمـ سـادـاتـ النـاسـ وـأـشـرـفـهـمـ وـخـيـارـهـمـ، قـالـ تـعـالـيـ: ﴿اللَّهُ
يَضْطَرِّفُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾
، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

وقد جمع الله تعالى أرواح النبيين والمرسلين في مثال أجسادهم فصلى بهم الرسول ﷺ إماماً في مسجد بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج، وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيمة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع».

و- أنه ﷺ صاحب الشفاعة العظمى لأهل الموقف يوم القيمة ليقضى بينهم حيث يتدافعاها أولوا العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام كل يعتذر عنها ويحيل الناس إلى الذي بعده حتى تنتهي إلى رسول الله محمد ﷺ، فيقوم عليه الصلاة والسلام فيقول: «أنا لها» فيشفع ويشفعه الله، ويأتي سبحانه على ما يليق بجلاله لفصل القضاء بين عباده وهي المقام المحمود أو من المقام المحمود الذي يبعثه الله إياه يوم القيمة كما فسر المقام المحمود بذلك عدد من الصحابة والتابعين رضي الله عن الجميع.

ز- أنه صاحب لواء الحمد وهو لواء حقيقي يختص ﷺ بحمله يوم القيمة ويكون الناس تبعاً له يوم القيمة، وإنما يختص به لأنه يحمد الله تعالى بمحامده لم يحمده بها غيره يعلمه الله إياها، كما في المسند وسنن الترمذى عنه ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيمة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما منبني أدم ما سواه إلا تحت لوابي، وأنا أول من ينشق عن الأرض ولا فخر».

ح- أنه ﷺ الذي يستفتح باب الجنة فيفتح له لا يفتح لأحد قبله وأول من يدخل الجنة.

ط- أنه ﷺ أوفر الناس حظاً من الشفاعة لأهل الكبائر من أمته.

ي- أن أمته عليه السلام خير الأمم يوم القيمة، فهم أكثر أهل الجنة إذ يبلغون شطر أهل الجنة أو يزيدون، قال عليه السلام: «أنتم توفون سبعين أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل»، رواه الإمام أحمد، وفي الصحيحين عنه عليه السلام قال: «إنني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة».

ك- أنه عليه السلام صاحب الوسيلة وهي منزلة في الجنة لا تكون إلا لعبد واحد من عباد الله، قال عليه السلام: «أرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حللت له الشفاعة».

ل- ما خص الله تعالى به شريعته من تيسير الأحكام، ورفع الآصار والأغلال، وتوسيع الحلال وتضييق الحرام، ويسير العبادات والكافارات ومضاعفة الحسنات وتکثیر أسباب حمو الخطیئات ورفعه الدرجات، وإعطاء الأجور العظيمة على أعمال يسيرة.

التاسع: من حقوق النبي عليه السلام على أمته:

٣- الإيمان المفصل بنبوته ورسالته واعتقاد نسخ رسالته لجميع الرسالات السابقة ومن مقتضى هذا الإيمان: تصديقه عليه السلام. فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه ونحوه، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، والدليل قوله تعالى: ﴿فَقَاتَمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلَنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنَّكُمُ الرَّسُولُ فَحَذُرُوهُ وَمَا هُنَّكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَأَنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، وقال عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» الحديث، وفي الحديث الآخر قال عليه السلام: «حتى يؤمنوا بي وبما جئت به».

٤ - الاعتقاد بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاحد في الله حق جهاده، وأنه لا خير إلا دل الأمة عليه، وكان ﷺ قد ورثها في إمامها في المسرعة إليه، ولا شر إلا حذرها منه، وكان ﷺ قد ورثها في الخدر منه والابتعاد عنه؛ فلم يتوفاه الله حتى بلغ كل ما أنزل إليه من ربه وأقام الدين كله، وأقام الله به الحجة الرسالية على البرية، قال تعالى: «الَّيْمَنْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا»، وقال ﷺ: «وَأَيْمَنَ اللَّهُ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مُثْلِ الْبَيْضَاءِ نَقِيَّةً لِيَلْهَا وَنَهَارَهَا سَوَاءً»، وقد شهد له أصحابه رضي الله عنهم بالبلاغ في أكبر مجمع لهم في حجة الوداع قالوا: «نشهد إنك قد بلغت وأديت ونصحت»، وقال أبو ذر رضي الله عنه: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يحرك جناحه في الهواء إلا ذكر لنا منه علم» الحديث.

وقالت اليهود للصحاباة رضي الله عنهم: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، يعنون: آداب قضاء الحاجة، فقال سليمان رضي الله عنه: «أجل - يعني: الأمر كذلك -

٥ - محبته ﷺ وتقديمها على النفس والولد والوالد وسائر الخلق، والمحبة وإن كانت واجبة لجميع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم المؤمنين وال المسلمين إلا أنه لنبينا محمد ﷺ مزيد اختصاص فيها، فإن الله تعالى قد قرن محبته رسول الله ﷺ بمحبته وتهدد من كانت قرابته وزوجه وماله وتجارته أحب إليه من الله ورسوله، ونفي كمال الإيمان عن من لم يكن النبي ﷺ أحب إليه من سائر الخلق.

٦ - الإقرار بما ثبت في حقه ﷺ من الفضائل العظيمة والخصائص السامية من ختم النبوة وعموم الرسالة والشفاعة العظمى والمقام المحمود وأنه الذي يستفتح باب الجنة فيفتح له ويدخلها لا يدخلها أحد قبله وأن له ﷺ أعلى منزلة في الجنة .

٧ - تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وتعزيزه وإجلاله وتوفير تعظيمه من غير غلو فيه وإطراء له فإن معرفة قدره وإنزاله منزلته فإن ذلك من أعظم حقوقه ﷺ على الأمة في حياته وبعد وفاته وذلك عند ذكر اسمه ﷺ وحديثه وسته وسماع سيرته وكثرة الصلاة والسلام عليه وحسن الثناء عليه والحب العظيم له والأدب الجم معه وحسن الذكر له ولأهل بيته ﷺ وأزواجها وأصحابه رضي الله عنهم وحسن معاملة من صاح نسبه إلى النبي ﷺ مع التوحيد والاستقامة على الشريعة ولزوم السنة ومولاتهم ونصرتهم جميعاً .

٨ - إتباع سنته وإظهارها السعي في نشرها، والبعد والحذر من مخالفته، وحسن خلافته في أمته بتبلیغ رسالته، وبيان شریعته لأمتها.

٩ - تجنب الغلو فيه ﷺ - وهو مجاوزة الشرع في مدحه وتعظيمه وإطراءه -، فإن ذلك من أعظم الأذية له ﷺ ومن أخطر البدع التي توقع أهلها في الشرك، فإنه ﷺ بشر كسائر البشر إلا أن الله تعالى شرفه بالنبوة والرسالة، فليس له ﷺ من خصائص الإلهية وصفات الربوبية شيء، قال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَّحْدَهُ فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾** الآية، وقال ﷺ: «لا تطروني - أي: لا تجاوزوا الشرع في مدحي وتعظيمي - كما أطرت النصارى ابن

وهو محمد^(١) بن عبد الله^(٢) بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب^(٣).....

مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»، وقال ﷺ: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»، والنصوص عن النهي عن الغلو فيه كثيرة.

(١) فائدة: محمد هو اسم النبي ﷺ الذي اشتهر به سباه به جده عبد المطلب، ومعناه: حامد لربه، محمود – أي: كثر حامدوه – من خلق الله، لما فيه من الخصال الحميدة. واسمه (أحمد) أي: أحمد الناس لربه وأقتهم له، وهو في (التوراة) محمد، كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ... إِلَى قَوْلِهِ: ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّورَاةِ وَمَثُلُهُرُ فِي الْإِنجِيلِ﴾ الآية.

وهو في (الإنجيل): أحمد، كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمٍ... إِلَى قَوْلِهِ: وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَمْهَدًا﴾. واسمه (الحاشر): لأن الناس يخشون على قدمه، واسمه (العقب) لأنه يعقب الأنبياء.

(٢) فائدة: عبد الله هو والد النبي ﷺ، توفي والنبي ﷺ حمل، فلم يدركه النبي ﷺ، وقد سئل النبي ﷺ عنه فقال: «إنه في النار»، ولعل الله – سبحانه وتعالى – قد أطلعه على أنه سيمتحن، ويكون من أهل النار، وإلا فإنه في حكم أهل الفترة، وقيل: بل إنه مكذب لما بقي من الحنيفة ملة إبراهيم، وهو معارض للرسالة، جاحد لها الحاجة إليها. والله أعلم.

(٣) فائدة: العرب هم أشرف جنس بشري، وقريش أشرف القبائل العربية، وبني هاشم هم أشرف بيت من بيوت قريش، فاختار الله تعالى نبيه ﷺ من أشرف البيوت.

من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلی نبینا أفضیل الصلاة والتسلیم^(١).
وله من العمر ثلث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة^(٢)،.....

(١) فائدة: اختصر المؤلف - رحمه الله - النسب النبوی هذا الاختصار، لأنه لا إشكال في أن النبي ﷺ من قريش وأن قريشاً من العرب المستعربة، وأن العرب المستعربة من ذرية إسماعيل، وأما ما وراء ذلك من النسب الطويل إلى إبراهيم - عليه السلام - فضبيطه والعلم بتفصيله محل ظن ويحتاج إلى تحریر، وقد قال النبي ﷺ: «أنا ابن الذبيحين»، يعني: بالذبيح الأول: إسماعيل، وقصته معروفة، وبالذبيح الثاني: فهو والده عبد الله، ويشار في ذلك إلى: ما حصل من عبد المطلب من أنه نذر إن ولد له عشرة من الولد أن يذبح أحدهم، فولد له عشرة من الولد ، فأقرع بينهم فخرجت القرعة على عبد الله والد النبي ﷺ، لكن قريشاً فدته بهائة من الإبل فقبل عبد المطلب ذلك، وفداء بهائة من الإبل هداية من الله تعالى له لما سبق في علم الله من شأن هذا النبي العظيم الذي سيولد من صلبه.

(٢) فائدة: بعث الله رسوله محمد ﷺ وعمره أربعون سنة، في كمال عقله وبدنه وسائل قواه، وما بعث الله نبیاً إلا وعمره أربعون، وهو من معنی قوله تعالى:
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَنَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَنًا حَمَلْتَهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشْدَدَ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّكَ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْقَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَلِحًا تَرَضَنِي وَأَصْلِحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبَثُّ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾، لأن أبلغ الأشد في الأربعين، وذلك حتى لا يرمى بتهور الشباب وجحونه، بل في أتم عقله، وقوه بدنـه، لذا قال تعالى عن موسى

وثلاث وعشرون^(١) نبياً ورسولاً، نبيع بـإقرأ^(٢)، وأرسل بالمدثر.

عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَدَهُ وَاسْتَوَى عَلَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَّالِكَ تَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ﴾، أي: اكتمل عقله وقواه وكمله الله تعالى بعلمه وهذا لأمر أراده
الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَرِيدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ أَسْتَضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَبَعْلَهُمْ
إِيمَةً وَبَعْلَهُمُ الْوَرِثَةِ﴾ الآيات.

(١) **فائدة:** لقد بارك الله في هذا العمر النبوي – بعد البعثة – الذي مقداره ثلات وعشرون سنة، فانتشر به العلم وظهر به الحق، وأزهق الباطل، واتضحت به الحجوة، وقامت به الحجة وزالت به المعدنة، إذ تحقق فيه – على قصره – تبليغ الدين، وبيان الوحي، وإقامة دولة الحق، وهدم كيان الباطل، وتتنفيذ الشرع، فلم تكن فتنه وكان الدين كله لله، وكسرت الأوثان وأعطي اليهود والنصارى والمجوس الجزية عن يد وهم صاغرون، فالحمد لله الذي صدق عبده، وأنجز وعده، ونصر جنده، وهزم الأحزاب وحده، وفي ذلك أبلغ عبرة وأعظم بشارة للدعوة إلى الله تعالى على منهج النبوة المتحلين بالإخلاص والصبر واليقين بالنصر المبين ولو بعد حين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(٢) **فائدة:** أول ما أوحى إلى النبي ﷺ ﴿أَفَرَا يَأْسِدُ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، فنبأه الله تعالى وأخبره وهيأه للرسالة العظمى بقوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْءَةُ...﴾ الآيات، ثم أرسله وأمره بالدعوة بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّرِّبُ فَلَذِذُرْبُ...﴾ الآيات. ثم أمره بالجهر بالدعوة بقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ الآيات. وأخبره بأن بعثته كافة للناس بما جاء بعد ذلك من النصوص

وبلده مكة^(١)، بعثه بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، والدليل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّرِّبُو﴾ قُرْ فَانِدِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِرْ وَثِيَابَكَ فَطَهَرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ سَتَكِبِرْ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

معنى ﴿قُرْ فَانِدِرْ﴾: ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِرْ﴾: عظمة بالتوحيد، و﴿وَثِيَابَكَ فَطَهَرْ﴾، أي: طهر أعمالك من الشرك، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرجز: الأصنام^(٣).....

الدالة على عموم رسالته للمكلفين من الجن والإنس، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَكَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿فُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وقوله: ﴿لَا تَنْدِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ ونحو ذلك من الآيات.

(١) التي ولد فيها، وهي أحب البقاع إليه.

(٢) أي: المتغطي بالدثار وهو الغطاء الذي فوق الشعار والشعار ما يلي الجسد والدثار ما فوقه، وسبب ذلك أن الرسول ﷺ لما رأى جبريل عليه السلام - على خلقته - رعب منه فذهب إلى أهله وقال: «دثروني»، أي: غطوني، فجاء الخطاب: ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّرِّبُو﴾ قُرْ فَانِدِرْ .

(٣) أصل الرجز العذاب، وسميت الأصنام والأوثان رجزاً لأنها سبب للعذاب ولنجاستها المعنية وهي الشرك بالله تعالى، وقد توعد الله تعالى أهل الشرك بعقوبات لم يتوعد بها أهل ذنب من الذنوب لشناعته وعظيم فظاعته فإنه أعظم ذنب عصي الله به في الأرض، وهو أظلم الظلم لأنه صرف خالص حق

وهجرها: تركها وأهلها، والبراءة منها وأهلها^(١). وأخذ على هذا عشر سنين
يدعوا إلى التوحيد^(٢).....

الله لاحد من خلقه، وتسوية للمخلوقين بأحسن الخالقين وهي التي أردتهم
في الحجيم: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِّمُونَ﴾ تَعَالَى إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذ
نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿١٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعٍ
فمن عقوباته:

- ١ - أن الله لا يغفره إلا بالتوبة.
- ٢ - حبوط عمل صاحبه.
- ٣ - خروجه من ملة الإسلام.
- ٤ - أن الله يحرم على من مات عليه الجنة، ومواه النار وما للظالمين من أنصار.

(١) فائدة: من أسباب السلامة من الشرك:

- معرفة الله تعالى بأسماه وصفاته وأفعاله وآثار ذلك في الأنفس والأفاق.
 - معرفة حقيقة التوحيد وثمرته العاجلة والأجلة.
 - معرفة الشرك وقبحه ووجه كونه أعظم أنواع الظلم وشدة العقوبة عليه في الدنيا والآخرة.
 - الخدر من وسائل الشرك وذرائعه ومخالطة أهله والإصغاء إلى شبهاهم.
 - الابتهاج إلى الله تعالى في طلب التثبيت على التوحيد والعصمة من الشرك.
- (٢) فائدة: منذ بعث الله تعالى النبي ﷺ حتى جاوز عشر سنين لم ينزل الله عليه فريضة إلا التوحيد والدعوة، ثم فرضت الصلاة بعد أكثر من عشر سنين من

البعثة فصلت ثلاث سنوات بمكة ثم بعد هجرته فرضت بقية الفرائض، ومضي عليه السلام يدعو إلى تلك الفرائض مع التوحيد، حيناً يؤسسها عليه وأخر ينبه على أنها من مقتضاه وعلامة عليه... الخ. حتى في المدينة كان يدعو إلى التوحيد، ويحذر من الشرك إلى آخر لحظة فكان يقول: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فدل ذلك:

أ- على عظم شأن التوحيد وضرورة ترسيخته في النفوس فإنه أساس الملة وقاعدة الشريعة ولا تقبل الأعمال إلا به.

ب- عظم قبح الشرك وأنه لا يجوز إقرار الناس عليه - مع القدرة على منعهم منه - لأنه تعد على حق الله تعالى الذي هو أعظم الحقوق لما فيه من تنقص الله جل وعلا بمساواة الخلق به والتعلق بها من دونه أو معه.

ج- عظم شأن الدعوة إلى الله تعالى وضرورة الفقه وال بصيرة فيها وذلك من وجوه:

أحدها: أنها وسيلة تبليغ الدين وتعليم المكلفين. وأنها فرضت قبل الفرائض العملية ولم يفرض معها شيء أكثر من عشر سنين.

الثاني: أن التوجيه بشأنها استغرق أكثر السور المكية وجملة من السور المدنية.

الثالث: أنها وظيفة أساسية من وظائف النبي عليه السلام في الأمة، قال تعالى: ﴿وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ يَارَذِنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ الآية.

الرابع: أن الله تعالى كلف بها الأمة مع نبيها عليه السلام ومن بعده فقال: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية.

..... وبعد العشر عرج به إلى السماء^(١)،

(١) **فائدة:** لما ضاق الأمر بالنبي ﷺ من أذى قريش وأهل الطائف له، كان من تفريح الله له بأن أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السموات العليّة وجاؤزها حتى بلغ سدرة المنتهى، ثم عرج به إلى مكان قريب من الله تعالى حيث بلغ مستوى يسمع فيه صريف الأقلام وجريانها بالمقدار. وكلمه الله تعالى كفاحاً حين فرض عليه الصلوات، وفي آخر مراجعة النبي ﷺ ربه تبارك وتعالى بشأن التخفيف قال تعالى: «قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ما يدل القول لدبي».

والإسراء لغة: السير بالشخص ليلاً، وقيل بمعنى سري.

وشرعًا: هو إسراء جبريل عليه السلام بنيناً محمد ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فقد أسرى بجسد النبي ﷺ وروحه جميعاً على الصحيح يقظة لا مناماً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى على البراق، ثم عرج به إلى السماء بالمعراج وفتح له باب السماء الدنيا، ثم عرج به من سماء إلى السماء التي أعلى منها - كلما مر بسماء لقي فيها نبياً من الأنبياء والمرسلين قبله - عليهم السلام - حتى جاوز السموات السبع جميعاً إلى سدرة المنتهى بصحبة جبرائيل - عليه السلام -، ثم ارتفع حتى بلغ مستوى يسمع فيه صريف الأقلام - أي: جريانها بالمقدار -، وهناك دنا من الجبار جل جلاله وكلمه بلا واسطة، وفرض عليه الصلوات الخمس، وقال سبحانه وتعالى: «قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي...» الحديث القدسي، ثم نزل ﷺ وأصبح بمكة يحدث عنها جرى له.

وكان مما جرى للنبي ﷺ في تلك الرحلة المباركة الميمونة أمور:

الأول: أنه ﷺ صلى تلك الليلة بالنبين والمرسلين قبله في بيت المقدس ركعتين.

الثاني: أنه لقي عدداً من أنبياء الله ورسله في السموات فسلم على من لقي منهم ودعاه بخير.

الثالث: أنه ارتفع فوق سدرة المنتهى إلى مكان سمع فيه صريف الأقلام وهو جريانها بالمقادير.

الرابع: أنه أدخل الجنة فأر بها حقاً.

الخامس: أن الله تعالى كلامه كفاحاً وفرض عليه الصلاة خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم خفضها الله عنه – بعد مراجعة النبي ﷺ لربه في عددها بمشورة موسى – عليه السلام – حتى استقرت على خمس في العدد، وجعل ثوابها ثواب خمسين فضلاً من الله عز وجل على عباده، لأن الله تعالى قد قال له: «قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي».

فالإسراء والمعراج وما فيها من آيات نبوة النبي ﷺ ومن المغيبات التي يحب الإيمان بها لورود النصوص فيها بالتواتر فمن أنكرها فهو كافر كفر جحود، قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعِنْدِهِ لَيَلَّا مِنَ الْمَسَاجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَّكَنَا حَوْلَهُ لِرُؤْيَتِهِ مِنْ أَيَّتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الآية. والمعراج مفعال وهي الآلة التي صعد عليها النبي ﷺ صحبه جبرايل عليه السلام من المسجد الأقصى إلى السموات العلي.

وفرضت الصلوات الخمس، وصلى بمكة ثلاث سنين^(١).
وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة. والهجرة^(٢) فريضة على هذه الأمة،.....

(١) فائدة: وقد كان فرض الصلاة أعظم شيء، وأكبره أثراً في ظهور أمر النبي ﷺ بمكة، بعد أن أرسله الله ويعنه إلى قومه، ولذا فالغالب أنه كان أمره ﷺ في ظهور فلم يزل ﷺ متتصراً بعد فرضها؛ وكان قبل فرضها يصلی باجتهاده، وربما بالدعاة.

فترضت الصلاة في أخرج ظرف من النبي ﷺ، ومنذ فرضت وأمر النبي ﷺ وأصحابه في عزة وظهور؛ وقد خفت فكانت نعم العون للنبي ﷺ وال المسلمين في دعوتهم وسائر شؤونهم فكانت الصلاة والدعاة مفزعهم عند المللitas وراحتهم من الشدات، وهذا كله قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِنُوا بِالصَّابِرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْحَشِيدِينَ﴾، ثم طرأ على الصلاة بعض التغيرات من الإتمام والقصر، والجمع وصفات صلاة الخوف ، فقالت عائشة-رضي الله عنها-: «كانت الصلاة اثنين اثنين فأقررت في السفر وزيدت في الحضر» .

(٢) فائدة: شرع الله تعالى الهجرة لنبيه ﷺ لأن المشركين آذوه وأذوا أصحابه، فلطف الله بهم وأمرهم بالهجرة إلى المدينة، وكان ذلك إيذاناً بنصرة المسلمين وظهور الدين وقيام أول دولة في الإسلام وخزي الكفارة من أهل الكتاب والمشركين، والهجرة على هذا الوجه - من غير مكة - باقية إلى أن يأتي الله بأمره، فالهجرة مأخوذة من الهجر، وهو نوعان:

أ- الهجر على وجه التأديب: وهو هجر من يظهر البدع والمنكرات والمقصود به زجر المهجور وتأديبه بسبب معصيته وصرف العامة عن مثل حاله فإن

كانت المصلحة في ذلك راجحة كان مشروعًا فقد هجر النبي ﷺ كعب بن مالك رضي الله عنه وصاحبيه رضي الله عنهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك من غير عذر شرعي، وإن لم يكن في الهجر فائدة أو كانت فيه مفسدة فإنه لا يجوز الهجر ولذلك لم يهجر النبي ﷺ أحدًا من أصحابه في مكة ولم يهجر رؤوس المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول ونظيرائه لما في هجرهم من المفسدة الراجحة وفي مثل هذه الحالة فالتأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، فقد كان النبي ﷺ يتآلف أقواماً ويهاجر آخرين.

ب- الهجر بمعنى: الترك، أي: بمعنى ترك المنكرات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي إِيمَانِنَا فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَقَّ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ، وَإِمَّا يُنَسِّيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الْأَذْكُرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، وقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنِ إِذَا سَعَئْتُمْ إِيمَانَ اللَّهِ يُكَفِّرُهَا وَيُسْنَهُرُّهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَقَّ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِفِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾، أي: لا يشهد المنكرات لغير حاجة كالإنكار.

ومن الترك هجر البلاد، أي: أرض الكفر والشرك، فيهجر المقام بين أظهر الكافرين والمنافقين وال fasiqin، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالرُّجُزَ فَاهْجُرْ﴾ وما جاء من النصوص بشأن الهجرة فهو من هذا الباب.

فائدة: في هجرة النبي ﷺ:

كانت الهجرة من مكة وغيرها إلى النبي ﷺ في المدينة واجبة قبل فتح مكة من أجل أن يكثر المسلم المهاجر سواد المؤمنين، ويقلل سواد الكفار، ومن أجل

من بلد الشرك^(١) إلى بلاد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة.

ألا يفتتن في دينه، وليتفقه وليتعلم؛ ومن تركها مع القدرة فهو ظالم لنفسه متوعد بها جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّعُوهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِبِي أَنفُسِهِمْ... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: فَأُولَئِكَ مَا وَنَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

ومن نوى الهجرة ولم يتيسر فأجره على الله، ثم نسخ الوجوب بعد الفتح، وصارت البلاد كلها بلاد الإسلام مكة والمدينة وغيرها من الجزيرة، فقال النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»، فقوله: «لا هجرة»، أي: من مكة.

ويكون الوجوب في الهجرة مع القدرة:

- ١- إذا كانت من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام.
- ٢- وكذا إن خاف على دينه الفتنة.
- ٣- أو من بلاد العاصي إلى بلاد الطاعة.
- ٤- أو من بلاد تظهر فيها البدعة إلى بلاد تظهر فيها السنة.

(١) فائدة:

- أ- بلاد الشرك هي التي تظهر فيها شعائر الشرك والكفر ولا تقام فيها شعائر الإسلام على وجه عام شامل.
- ب- يشترط لجواز السفر إلى بلاد الكفار أو الشرك ثلاثة شروط:
 - ١- أن يكون عند المسلم علم يدفع به الشبهات.
 - ٢- أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.
 - ٣- أن توجد حاجة تقتضي السفر.

والدليل على وجوب الهجرة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَا كُنْنَا نَعْمَلُ كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَلَا يَجِدُونَ فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا وَبَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، وقوله تعالى: ﴿يَعْبَادُونَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنَّمَا فَاعْبُدُونِ﴾.

قال البغوي رحمه الله تعالى: سبب نزول الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان.

والدليل على الهجرة من السنة: قوله ﷺ: «لا تقطع الهجرة حتى تقطع التوبة، ولا تقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها».

فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام، مثل: الزكاة، والصوم^(١)، والجهاد^(٢).....

فإذا لم تتوفر هذه الشروط فلا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما فيه من تعريض الدين للفتنة.

(١) فائدة: كان فرض الزكاة والصوم في السنة الثانية من الهجرة.

(٢) فائدة: الجهاد لغة: هو بذل الجهد والوسع.

وأصطلاحاً: هو بذل الجهد والطاقة لإعلاء كلمة الله تعالى بقتال الكفار طليباً أو دفعاً وقتل الخوارج والبغاة ونحوهم من المفسدين في الأرض.

وكان فرض الجهاد في السنة الثانية أو الثالثة من الهجرة، فقد كان النبي ﷺ قبل الهجرة منوعاً من جهاد الكفار بالسيف، مأموراً بالصفح عنهم والصبر عليهم ومجاهدتهم بالقرآن لعدم استكمال أمور الجهاد، ومن ذلك أنه لم يكن

له ولية وسلطان، وكان المفسدة باستعماله أكبر وأخطر ولما الله تعالى في ذلك من الحكم الكثيرة، ثم بعد الهجرة وتأسيس الدولة التي صار بها للمسلمين ولاية وسلطان يتحقق به أمر الجهاد ومقصوده، شرع الله تعالى له جهاد الكفار والشركين بالسيف مع الجهاد بالقرآن.

وكان ذلك على مراتب:

أ- أول ما أنزل فيه الإذن بالقتال لمن ظلم المسلمين قال تعالى: ﴿أَذِنْ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾، أي: إذا بدؤوا بالقتال بسبب أنهم ظلموا.

ب- ثم أمر الله بالجهاد وأوجب قتال الكفار إلا من سالم المسلمين وهادنهم، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُثُرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكُرُّهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَقْتَدُوْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ﴾ الآية.

ج- ثم أمر الله تعالى في سورة براءة بنبذ العهد وقتال المشركين كافة وقتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى وألحقت بهم السنة الماجوس حتى يسلموها أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِيْنَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَ﴾، وقال تعالى: ﴿قَاتَلُوا الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُمْرِمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِيْنَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِيْنَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزِيَّةَ عَنْ يَدِ وَهُمْ صَغِرُونَ﴾.

وقال رسول الله: «أغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله»، ومع هذا التدرج في تشريع الجهاد على هذه المراتب فإنه لم تنسخ النصوص الآمرة بالصبر والصفح عن الكفار على الصحيح، بل هي محكمة، ولكنه يعمل بها في الحال التي تقتضيها في حال ضعف المسلمين وعجزهم عن القتال، أو حين تكون مفسدته أرجح من مصلحته لأهل الإسلام، فإن لولاية المسلمين الشرعية أن تصالح الكفار والمرتكبين – ما دام في الصلاح مصلحة كاملة أو راجحة للMuslimين وفي القتال مفسدة كاملة أو راجحة – مؤقتاً، أي: بمدة محددة أو غير مؤقتة أي بمدة مفتوحة.

ومتى ما صار لل المسلمين قوة على جهاد الكفار وغلب على الظن رجحان مصلحته نبذ المسلمين عهد الكفار إليهم وقاتلواهم بعد إشعارهم بمدة قبل حربهم بانهاء اتفاقية الصلح، فلم يبح الله تعالى ترك قتال الكفار والمركين من أي ملة ونحلة أبداً وإن هادنوا المسلمين وساملوهم هدنة مطلقة مع إمكان جهادهم ، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ يَلِهُ فَإِنْ آتَهُمْ فَلَا عُذُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْأَعْلَىٰ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

فائدة: في تبليغ النبي ﷺ الدين:

ما يعلم بالضرورة من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يمت حتى بلغ كامل ما أنزل إليه من ربه، فلم يكتم شيئاً ولم ينس شيئاً مما أمره الله بتبليغه من دينه بل بلغه قوله، وبينه فعلاً وحالاً، وتقريراً وإنكاراً، وبذلك قامت الحجة واتضحت الحجة وزالت المعدنة، واعتقاد كمال تبليغ النبي ﷺ رسالته الأمة

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام؛ أخذ على هذا عشر سنين، وبعد ذلك توفي^(١)، صلوات الله وسلامه عليه.

ودينه باق^(٢)، وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه،.....

من مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله، وما أجمع عليه المسلمون فلا يتحقق إيمان عبد بالرسول ﷺ حتى يؤمن بكمال تبليغه وبيانه لرسالته قال تعالى: ﴿يَتَأَمَّلُهَا الرَّسُولُ بِلَغَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رِبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغَتَ رِسَالَتُهُ وَاللَّهُ يَعِصِّمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِيءُ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّزَنَا إِلَيْكَ الذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية.

(١) فائدة: دفن ﷺ في بيته حجرة عائشة - رضي الله عنها - لأنه خشي أن يتخذ قبره مسجداً، كما روت عائشة - رضي الله عنها - وقالت: «لولا ذلك لأبرز قبره»، ولأنه روي عنه ﷺ: «أن الأنبياء يدفنون حيث يموتون»، وقد مات في حجرة عائشة رضي الله عنها فدفن فيها بإجماع الصحابة - رضي الله عنهم - وهم معصومون أن يجمعوا على ضلاله.

(٢) فائدة: من العقائد الصحيحة الضرورية التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح من الأمة اعتقادبقاء دين الإسلام بحفظ الله له، يتبعده به الناس لله إلى أن يأتي الله بأمره، وهذا قال رسول الله ﷺ: «لا يسمع بي يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار»، وقال ﷺ: «الجهاد ماضي إلى يوم القيمة»، وقال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي الله بأمره»، ثم في آخر الزمان - وبعد ظهور عدد من أشراط الساعة الكبار - يتمثل الشيطان

وآخر الذي دعا عليه^(١)

للناس ويزين لهم عبادة الأوثان فيعبدونها، وتقبض كل روح مؤمن ومؤمنة حتى لا يقال في الأرض: الله، ويبقى الكفار يتهرجون كتهراج الحمر وعندئذ يرفع القرآن وتهدم الكعبة فلا تقوم الساعة إلى على شرار الخلق، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «إن من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد».

(١) فائدة: في موقف أهل السنة مع آثار رسول الله ﷺ:

يرى أهل السنة والجماعة أن آثار رسول الله ﷺ نوعان:

الأول: ما أثر عنه ﷺ من أقوال وأفعال وتصريحات وإنكار لما وقع من الصحابة مخالفًا لهديه وبيان وجه الصواب فيه فهذا النوع من بيانه ﷺ لما نزل إليه من ربه وهو من هديه فهذا النوع يجب الأخذ به والتمسك به واتباعه عليه الصلاة والسلام فيه وهكذا ما صلّى فيه على خير وجه التشريع وكذا ما أقرّهم عليه ﷺ من التبرك بريقه وشعره وعرقه لإقراره إياهم.

الثاني: ما أثر عنه ﷺ ما هو من قبيل الجبلة والاتفاق والمصادفة فهذا لا يشرع إتباعه فيه بل هو من وسائل الغلو وقد أنكر بعض أعيان الصحابة على من فعله. ومن أمثلة ذلك:

١ - أن عمر - رضي الله عنه - قطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ لما علم أن الناس يقصدونها وذلك خوفاً عليهم من فتنة الغلو فيها.

٢ - لما بلغه أن أنساً يقصدون موضعًا صلّى فيه النبي ﷺ في الطريق أنكر عليهم، وقال - فيما معناه - : «إنما أهلك من كان قبلكم مثل هذا، كانوا

التوحيد^(١)، وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرها منه: الشرك، وجميع ما يكرهه الله ويأباه^(٢).

بعثه الله إلى الناس كافة، وافتراض طاعته^(٣) على جميع النقلين: الإنس والجن، والدليل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٤) وآتَيْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ..

يتبعون آثار أرباءهم، فمن أدركته الصلاة في شيء من هذه المساجد
فليصل، ومن لا فليمض ولا يقصدها».

(١) فائدة: التوحيد هو: أصل دين الإسلام، فالإسلام كله خير وخيره عام،
لكن أعظم أنواعه وأسبابه التوحيد، وهو قصد الله بها شرع من اعتقدات
القلوب وأعماها وأقوال الألسن وأعمال الجوارح.

وخلاف التوحيد وضده الشرك الذي هو قصد غير الله تعالى بشيء من حقه
لأنه تسوية لغير الله بالله في ما هو من خصائص الله.

(٢) من الشرك والبدع والفسق.

(٣) في امثال أوامره واجتناب نواهيه.

(٤) فائدة: فإن كمال الدين بكمال التشريع وكمال التبليغ والبيان وبذلك تمت
النعمة، وهذا نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية، فبكمال هذه
الأمور تمت النعمة وقامت الحجة، وهذا خاطب النبي ﷺ صدر هذه الأمة
بقوله: «أيها الناس إنكم مسؤولون عنى فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد
بلغت ونصحت وأديت، فرفع سبباته إلى السماء ثم نكتها عليهم، وقال: اللهم
أشهد عليهم». فالله تعالى لم يتوفّ نبيه ﷺ حتى كمل به الدين، وأقام به
الحجّة، وهذا بحسب أبو بكر رضي الله عنه عندما نزلت هذه الآية، لأنّه بكمال

لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِينًا^(١).

الدين وبيانه انتهت مهمته ﷺ، وأنه قريب الرحيل إلى ربه، فلم يعش الرسول ﷺ بعد نزول هذه الآية إلا ٨٣ يوماً، ولم ينزل عليه بعد هذه الآية من الأحكام شيء، وإنما هي مواعظ، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُنَّ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

ولهذا لا يجوز أن يتبعد الله بغير شرع الله وعلى خلاف سنة رسول الله ﷺ.

(١) فائدة: من ثمرات عقيدة ختم النبوة:

من خصائص النبي ﷺ أنه ختم به النبيون فلا نبي بعده، وإذا ختمت النبوة به ﷺ فقد ختمت به الرسالة كذلك، لأن الرسول لا يكون رسولاً حتى يبدأ أولاً وعلى هذا اعتقاد أهل الحق من هذه الأمة، فعقيدتهم ختم النبوة والرسالة به ﷺ وتلك من أصول اعتقادهم. فمن صدق مدعى النبوة بعد النبي ﷺ فقد كفر أكباً أكبر يخرجه من ملة الإسلام يجب قتلها لردهة إلى أن يتوب توبة محققة.

ولهذه العقيدة المباركة ثمرات كثيرة جليلة منها:

١ - استقرار التشريع وكمال الدين، فلا يتغير هذا الدين ولا يتبدل، وهذا من أعظم النعم على هذه الأمة، وكان ذلك مما غبط به اليهود أهل الإسلام فقالوا: (لو أنزلت علينا ﴿الَّيْوَمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم﴾ لاتخذنا ذلك عيداً)، وفي ذكر كمال الدين وختم النبوة و تمام النعمة تنبيه من الله عز وجل على شكر هذه النعم، وتقرير ظاهر أنه لا مجال للزيادة في هذا الدين أو التقصان منه، فمن زاد فيه فقد ابتدع، ومن نقص منه فقد جفا وظلم وهلك.

والدليل على مorte قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَا يَهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١)، والناس إذا ماتوا...

٢ - ثقة الأمة ببقاء الدين إلى آخر الدهر وحفظه الله تعالى وعدم نسخه إلى آخر الدهر، فلا يتبعه الله تعالى إلا بهذه الشريعة بما فيها من عقائد وأحكام وأخلاق وغير ذلك، والدين الباقي المحفوظ منصور فلا يخاف عليه الذهاب أو الأضمحلال، وإنما يخاف على من قصر في نصره ونشره لما فاته من الخير إلى غيره، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلُوا يَسْتَبِدُّ لَفَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.

٣ - القطع بكذب من ادعى النبوة من هذه الأمة بعد النبي ﷺ - دون أي نظر أو تأمل -، وهذا من أعظم مقاصد النبي ﷺ في تقريره اعتقاد ختم النبوة.

(١) فائدة: بعد أن بين الشيخ الأصل الثالث أشار إلى مسائل مهمة هي:

الأولى: وجوب اعتقاد عموم رسالة النبي ﷺ، لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَكِيدُهُمْ أَنَّاسٌ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ بِجَيْعًا أَلَّذِي لَمْ يُكَلِّفْ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمْسِكُ فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنَّيْ أَلَّمْ يَرَى أَلَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَيْعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، ولقوله ﷺ: «كان يبعث النبي إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»، وما جاء في معناها من النصوص. فعلى عموم المكلفين من الجن والإنس الإيمان به وإتباعه ومن لم يؤمن به ويتبعه أدخله الله النار.

الثانية: وجوب اعتقاد بقاء الشريعة وحفظ الله تعالى لها ليتبعه بها الناس الله تعالى إلى آخر الدهر، فهي باقية لم تنسخ، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرْزَقُنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا

لَهُ لَحْفَظُونَ ﴿٦﴾، وقال عز وجل: ﴿وَأَنْزَلَنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَمَّنَا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شَرَعًا وَمِنْهَا جَاءَ﴾، أي: حاكماً
عليه، فلا يجوز أن يؤخذ دين الله عن الكتب السابقة المحرفة الناقصة المؤقتة،
وما فيها من خير فقد جاء به الإسلام، وما فيها من قيود وأغلال سلم منها
فدين الإسلام باق محفوظ عن التبديل والتغيير والزيادة والنقصان، وهو
صالح مصلح للناس في كل زمان ومكان، قد علم ذلك من علمه، وجهله
من جهله.

الثالثة: وجوب اعتقاد موت النبي ﷺ، فلم يرفع كعيسى بن مريم ولم يتحول
إلى نور كما تزعم الصوفية، ولم يمت ﷺ كما يموت الجبابرة، بل مات على
فراشه بعد أن خيره الله تعالى بين الدنيا والرفيق الأعلى فاختار ﷺ الرفيق
الأعلى بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجادل في الله حق
جهاده، وترك الأمة على بيضاء نقية ليلاها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

والنصوص على إثبات موته ﷺ من الكتاب والسنة كثيرة، وهو إجماع
المسلمين، ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام.

الرابعة: أن الناس كلهم يبعثون فليس البعث خاصاً بالنبي ﷺ وحده. بل
البعث لجميع الناس بل لجميع الخلق. ومن حكمه العظيمة:

١ - تحقق ما وعد الله به وأخبر عنه بواسطة كتبه المنزلة ورسله المبلغون عن الله
دينه، من أمر البعث والجزاء، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنِهِمْ لَا
يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمْوَتْ بَلَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ييعثون، وبعد البعث محاسبون ومحزون بأعمالهم^(١)، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا في السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْعَوا بِمَا عَمِلُوا وَلَهُ جَزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾.

٢- تصديق أولي العلم بما جاءت به الرسل على ما دعوا الناس إلى الإيمان به، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَيْتُمْ فِي كِتَابٍ اللَّهَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْبَعْثَ فَهَكُذا يَوْمُ الْبَعْثَ وَلَا كَنْكَحُكُمْ كُتُرْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

٣- تقرير الناس بأعمالهم وجزاءهم عليها، قال تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّكَ لَتَبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُبَيِّنَ لَنَبِيُّنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾. وقال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْعَوا بِمَا عَمِلُوا وَلَهُ جَزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ الآيات.

٤- تكذيب الكفار المنكريين للبعث، قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِينَ﴾.

(١) فائدة: اعلم أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق فهم الذين يموتون عند قيام الساعة، فينفح إسرائيل في الصور نفحة الفزع ثم نفحة الصعق، والصور: وهو بوق سعة دائته كما بين السماوات والأرض.

والراجح أنها نفحة واحدة تبدأ خفيفة كما في الحديث حتى أن الرجل ليصغي لبناً، ويرفع لبناً، أي: يصغى أذناً ويرفع الأخرى ليتأكد من الصوت ومصدره لخلفائه، ثم يظهر الصوت فيحصل به فزع الناس، ثم يقوى، أي: يرتفع الصوت حتى يصعق الخلق.

ومن كذب بالبعث كفر^(١)، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُواٰ﴾ أَنَّ لَنْ يُعْثُرُوا
قُلْ بَلَى وَرَبِّي^(٢) لَتَبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُبَيَّنُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

وقال بعض أهل العلم: إنها نفختان نفخة فزع ونفخة صعق وفيها يصعق كل من في السماوات والأرض إلا من شاء الله، ثم ينادي رب العزة والجلال:
﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلا يحييه أحد فيجيب نفسه قائلاً: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدَةُ الْقَهَّارُ﴾، ويقول: «أنا الملك أين المتكبرون؟ أين الجبارون؟». ثم تبعث الخلائق خلقاً جديداً، فتمطر السماء مطراً كمني الرجال فتنشأ الأجساد من عجب الذنب، ثم إذا تم خلقها تحت الأرض نفح إسرافيل في الصور نفخة البعث فتطير بتلك النفخة الأرواح إلى أجسادها فتحل فيها: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٣) بخلقة لا تقبل الفناء، كما قال تعالى: ﴿وَنَفَخْنَاهُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾، ثم يحشرون إلى ربهم جميعاً.

(١) فائدة: هذا تنبيه من الشيخ على أن الإيمان بالبعث ركن من أركان الإيمان بالله تعالى.

(٢) فدل على كفر من كذب بالبعث، وذلك لأن الله أخبر به، ومن كذب الله كفر، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٤).

(٣) وقد أمر الله نبيه بالإقسام على البعث في ثلاثة مواضع من كتابه، فقال تعالى:
﴿وَيَسْتَأْتِيُونَكَ أَحَقُّهُو قُلْ إِنَّ رَبِّيَ إِنَّهُ لَحَقٌ وَمَا أَنْتُ بِمُعْجِزِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِنَّكُمْ عَلَيْمٌ الْغَيْبِ لَا يَعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي

وأرسل الله جميع الرسل^(١) مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِتَلَمَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتب مبين، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يُبَعْثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتَبْيَهُنَّ بِمَا عَمِلُتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، وضرب له الأمثال وأبدى وأعاد في تقريره البعث بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة، فقال: ﴿كَذَلِكَ الْشُّورُ﴾، ﴿كَذَلِكَ الْخَرْجُونَ﴾، وغيرها كثير.

(١) الرسل: جمع رسول، والوصف بالإرسال يشمل النبي والرسول، لأن كلاً منها مرسل من قبل الله برسالة إلى قومه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الآية. وقد سبق بيان معنى كل من النبوة والرسالة والفرق بين النبي والرسول ولكن لأهمية الموضوع أزيد الأمر - هنا تأكيداً فأقول:

أ- إن النبي مرسل إلى قوم مؤمنين برسالة سابقة فهو مرسل لتقرير شرع سابق في قوم مؤمنين به يثبتهم عليه ويفتيهم فيما أشكل عليهم منه ويحكم فيهم ويؤمهم فيه ويصحح ما أخطأوا فيه ويرد ما ابتدعوه.

ب- أما الرسول فهو من أرسل بشرع جديد إلى قوم كفار أو لم تبلغهم رسالة سابقة. فائدة: للنبيين والمرسلين عليهم السلام وسلام وظائف عديدة، منها:

الأولى: الدعوة إلى عبادة الله وحده وترك الشرك به وبيان تفصيل أحكامه وشرعيته.

وأولهم نوح عليه السلام، وأخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين^(١)، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ

الثانية: البشارة لمن أطاعهم بعظيم الثواب وكريم المآب والنذارة لمن عصاهم بشديد العقاب وأليم العذاب. وأيضاً هذه وظيفة أتباع الرسل البشارة والنذارة.

فخلاصة وظيفة الرسل وأتباعهم البشارة والنذارة ونصح الأمة في ذلك وسياستها على ذلك، فمن فقه الدعوة الجمع بين الترغيب والترهيب وعدم الاقتصار على أحد هما دون الآخر، ولذلك قال أحد السلف رحمهم الله: الفقيه كل الفقيه من لم يُقْنَط الناس من رحمة الله ولم يُجْرِئهم على معصية الله.

(١) فائدة: نوح عليه السلام أول رسول أرسله الله تعالى إلى قومٍ كافرين، أي: بعد ظهور الشرك، وكلنبي أرسل إلى أمة فهو للأنس والجن من تلك الأمة، إذ الجن تبع للإنس في خطاب التكليف.

وأما آدم عليه السلام فقد اختلف فيه أهل العلم هل هونبي أو رسول، والجمهور على أنهنبي، وال الصحيح أنه رسول لأنه صاحب شريعة لم يسبقه بها رسول قبله لأن في شريعته ما ليس في غيرها من الأحكام الخاصة بشرعيته كجواز تزوج الأخ بأخته التي ليست شقاله في الحمل، أي: لم يكوننا توأمًا في حمل واحد.

وبين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام عشرة قرون، والقرن الجيل من الناس لا المائة سنة، وكان متوسط أعمار ذلك الجيل سبع مائة سنة، وما يرجح أن آدم عليه السلام كان رسولاً أنه لم يكن بعده رسول قبل نوح عليه السلام، وكان بينه وبين نوح أنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مثل: شيث عليه السلام.

وَالْبَيْتَنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَارُوذَ زُبُورًا ﴿١٦﴾.

وكل أمة بعث الله إليها رسول من نوح إلى محمد - عليهم الصلاة والسلام - يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت^(١)، والدليل قوله تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الظَّاغُوتَ»^(٢)، وافتراض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «معنى الطاغوت ما يجاوزه العبد حده من معبد أو متبع أو مطاع^(٤)».

(١) كما قال تعالى: «وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ».

(٢) فدللت الآية على أن زبدة الرسالة الإلهية وخلاصة الكتب السماوية الدعوة إلى توحيد الله بإخلاص العبادة وترك عبادة ما سواه، ولذلك قال عيسى بن مرريم عليهما الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ رَبِّكُمْ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ»^(٥). فيجب على جميع المكلفين بعد بلوغ الحجة وفهمها عبادة الله وحده وترك الشرك به سبحانه الذي هو عبادة غير الله معه أو من دونه.

(٣) لا يتم الإيمان بالله إلا بالكفر بالطاغوت، فالتخلية قبل التخلية والكفر بالطاغوت جحود عبادة غير الله والبراءة من كل عبادة لغير الله ومن عبد غير الله مع تحقيق إخلاص الدين لله تعالى، فلا يكفي أحدهما دون الآخر بل لابد منها جميعاً.

(٤) والطاغوت: الأصل فيه أنه مجاوزة الحد صيغة مبالغة من الطغيان، ومنه قوله تعالى: «إِنَّا لَمَا طَغَى الْمَاءَ حَمَّلْنَاهُ فِي الْجَارِيَةِ»، المراد هنا مجاوزة الشرع، وهو

والطواغيت كثيرون، رؤوسهم خمسة^(١): إبليس لعنه الله^(٢)، ومن عبد وهو راض^(٣)،.....

الطغيان بتاليه وعبادة غير الله، أو التأله مع الله بادعاء استحقاق شيء من حق الله، أو صفة أو فعل، قال تعالى: ﴿فَمَآ مَنْ طَغَىٰ ۚ وَإِنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَنَّمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٤).

(١) فالطواغيت أجناس، كثيرون يجمعهم أمران:

أحدهما: ادعاء الإلهية مع الله.

الثاني: تاليه وعبادة غير الله.

وأصناف الطواغيت خمسة بينها المؤلف رحمه الله تعالى.

(٢) لأنه رأس الدعاة إلى الشرك ومن لم يعبد الله عبد الشيطان.

(٣) لأنه جعل نفسه بمنزلة الله، وهذا محاد الله في سلطانه فهو من حصب جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُورُكُمْ﴾^(٥).

وفي قول المصنف: (وهو راض) احتراز، لأن من الصالحين من عبد من دون الله لكنه غير راض، لأنه عبد بعد موته غلواً فيه وتعظيمياً له، ولذلك قال عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ سُبْتَ حَنَّكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِعِيقَّٰ إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْعَلَمِينَ﴾، وكذلك قالت الملائكة: ﴿قَاتُلُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِشَّا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكَثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾، وكذلك اللات ويغوث ويعوق ويسوع ونسراً.

ومن ادعى شيئاً من علم الغيب^(١)، ومن حكم بغير ما أنزل الله^(٢).

(١) وإنما كان مدعى علم الغيب طاغوتاً لأنه ادعى مشاركة الله تعالى فيما هو من خصائصه وهو علم الغيب، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعَثُونَ﴾.

(٢) فائدة: قوله: (ومن حكم بغير ما أنزل الله)، أي: فهو طاغوت قد تجاوز حده وتعدى حق ربه، ويدخل في هذا كل ما خالف الشرع المطهر فمن ذلك:

١ - الحكم بأعراف الجاهلية والأوضاع الاجتماعية التي تتضمن تغيير أحكام الشرع كتغريم الزاني فدية مالية ونحو ذلك بدلاً عن الحد الشرعي.

٢ - القوانين الدولية التي تتضمن مخالفة أحكام الشريعة المطهرة مثل تشريع المساواة بين المرأة والرجل حتى في الميراث وحق القوامة.

٣ - عموم الدساتير - النظم والقوانين الدولية - التي تتضمن إباحة ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، كتحريم تعدد الزوجات ومنع الطلاق ومساواة المرأة بالرجل في كل شيء أو تحليل الزنا والمسكرات.

٤ - جميع الإجراءات الإدارية المخالفة للشريعة التي جاء بها النبي ﷺ من أي جهة صدرت ولأي غاية وضعت فكل هذه الأحكام طاغوتية يجب الكفر بها والبراءة منها.

٥ - الأنظمة وال تعاليم الصوفية والحزبية والدعوية المخالفة للكتاب السنة، والتي يلزم بها المريد نحو الشيخ أو زائر القبر نحو الميت أو التابع نحو الجماعة أو الحزب أو منهاج الدعوة، كشرط الابتداء أو استدامة الانساب

والدليل قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١) قد ثَبَّتَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيْ فَمَن يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعِرْوَةِ الْوُثْقَى لَا أَنْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعُ عَلِيهِ﴾، وهذا هو معنى لا إله إلا الله.

إلى شيخ الطريقة أو الطائفة أو منهاج الجماعة أو الجمعية، فإن كل ما خالف الشرع فهو موضوع تحت الأقدام هو ومن دعا إليه أو ألزم به، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمُ الْجَهَنَّمَ يَعْنُونَ وَمَنْ أَحْسَنْ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لَّقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وقال ﷺ: «فمن أمر بمعصية الله تعالى فلا سمع ولا طاعة، إنما الطاعة في المعروف».

(١) فائدة: دين الإسلام هو دين الفطرة فلا يحتاج إلى إكراه باعتناقها ولذلك قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، المعنى: لا تكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام فإنه دين القيمة، وذلك لأن دلائل صحته وأحقيته ظاهرة، وبراهين مصلحته الكاملة والراجحة للناس دنيا، وأخرى قطعية بحيث لا يكره أحد على الدخول فيه بل أدعوا إليه بأقوالكم وأفعالكم وأحوالكم فإن من تأمله ورأى حال أهله المستقيمين عليه من العقلاة تبين له حسنها وعظم نفعها وما في ضده من القبح والشر في العاجل والأجل، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قَدْ ثَبَّتَ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيْ﴾، أي: قد تبين الحق من الباطل بالحجج والبراهين، فمن قبله فله المثوبة والأجر، ومن لم يقبله فهو معرض متعرض للعقوبة.

..... وفي الحديث: «رأس الأمر الإسلام^(١)،.....

وبعد ذلك شرع الجهاد فصار الناس أصنافاً:

أ- أهل الكتاب: عليهم الجزية إن لم يؤمنوا مع أنهم مشركون إلا أنه تقديرًا لكتابهم، فتؤخذ الجزية منهم وهم صاغرون، وهذا المجرم أمر النبي ﷺ أن تسن بهم سنة أهل الكتاب في هذا الشأن.

ب- المشركون من العرب وغيرهم من الأمم: فهو لاء إن لم يسلمو فإنهم يقاتلون حتى يسلمو أو يستسلموا، ويرجع فيما يفعل بهم إلى اجتهاد الإمام - ولـي الأمر العام - فينظر فيهم بما تقتضيهم المصلحة فقد يخيرهم بين الفدية أو القتل أو الرق، أو يمن عليهم بالعفو دون مقابل إن كانت مصلحة ذلك راجحة.

(١) المراد بالإسلام هنا: الإسلام بمعناه الخاص بهذه الأمة هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله والاستقامة على الشريعة التي جاء بها النبي ﷺ، فهو الذل والاستسلام لله تعالى والانقياد له بالطاعة استجابة لله تعالى ولنبيه محمد ﷺ، والبراءة من الشرك وأهله فجعل ﷺ الإخلاص لله بالقصد والطاعة له بالاستقامة على الشرع، والإتباع للنبي ﷺ في الكيفية، وهو الاستسلام الظاهري والباطني لله تعالى، وهو رأس الأمر فمن أتى به أفلح في الدنيا والآخرة، ومن لم يأت به فلا خلاق له في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عَدَّ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْغَاسِبِينَ﴾ الآية.

والمراد بالأمر في قوله: «رأس الأمر» الدين الذي جاء به النبي ﷺ، وهو بمنزلة الرأس من الحيوان فكما أنه إذا قطع الرأس من الحيوان انتهت حياته

..... وعموده الصلاة^(١)

فلم يتفع منه في المستقبل وإن استفید من بدنه بالحاضر، فكذلك الدين إذا فقد منه الإسلام، - أي: التوحيد بالإخلاص لله عز وجل - فقد الدين فلم يتفع منه في الآخرة وإن حصل به نوع نفع في الدنيا، وذلك لأن العمل لا يقبل في الآخرة ولا ينجي صاحبه من العذاب ولا يؤهله للثواب إلا إذا كان خالصاً لله تعالى في القصد، وموافقاً للشرع في أصله، وصواباً على السنة أي الطريقة التي كان عليها النبي ﷺ في كيفيةه.

(١) **فائدة:** الصلاة ركن الإيمان الظاهر وهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقامَ الصَّلَاةَ وَأَقَى الرَّكْوَةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهُ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهَتَّدِينَ﴾، وقال النبي ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»، فهي عمود الدين وسر الأمانة، حيث يجتمع فيها الدعاء والثناء مع كمال الخضوع وجمال الهيئة، وهي شرط النظر في العمل، فإن صحت صلح ظاهر العمل ونظر فيه، وإن فسدت رد العمل، كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «إن أول ما ينظر من العمل الصلاة..»، وفي التنزيل قال تعالى: ﴿أَسْتَحْوِدُ عَلَيْهِمُ الْشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الْشَّيْطَانِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾.

وجعلها الرسول ﷺ عمود الدين تنبئها على عظم شأنها فيه ومكانتها منه، فإنها إذا كانت بهذه المكانة العظيمة فإنها إذا سقطت سقط الدين إذ هي بمثابة عمود الفسطاط وهو الخيمة إذا سقط الفسطاط لم يتفع منه بظل ولا وقاية من ريح أو مطر ونحو ذلك.

ذروة سنته الجهاد في سبيل الله»^(١).

وهكذا إذا فقدت الصلاة سقط دين تاركها ولم يبق له دين، فإن مجرد ترك الصلاة كفر مخرج من الملة - كما هو مذهب جماعة من محققى أهل العلم بجملة أدلة - فإن قوله عليه السلام: «عمود الصلاة» يدل على أن المراد فعل الصلاة، أي: أقامتها لا الإقرار بها، كما أن عمود الفسطاط لا قيمة له إلا إذا كان قائماً، فإن وجوده ملقي عند الفسطاط لا يفيده قياماً، فهكذا الإقرار بالصلاحة فقط لا يفيد قيام الدين، وهذا جاءت النصوص بالأمر بإقامة الصلاة والمحافظة عليها والخشوع فيها، وجعل ذلك آية الصلاح وسبب الفلاح ووسيلة الفوز بعظيم الأرباح والله المستعان.

(١) **فائدة:** ظهور الجهاد للكفار دليل على قوة الإيمان عند المسلمين وإذا خفي دل على ضعف الإيمان، والجهاد يكون باللسان ببيان الحق بدليله، وأيضاً بالسان إذا دعا الإمام إليه لقوله عليه السلام: «إذا استنفرتم فانفروا»، وقوله عليه السلام: «وما يأتم من يجاهد نفسه في ذات الله»، وذلك كلهم مما يدخل في عموم قوله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَدِيهِمْ سُبُّلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ». والذي لا يجاهد بلسانه لا يجاهد بالسان، فعلى المسلم أولاً أن يجاهد نفسه لله تعالى ثم يجاهد غيره، والأقرب فالأقرب.

والجهاد في سبيل الله على وفق الشرع المطهر وهدي سيد البشر عليه السلام أرفع خصال الدين لأن فيه بذل النفس والنفيس والمهجة والأقوال والأموال من أجل الله تعالى، لإظهار دينه وصيانة حرمات عباده، فيبذل المجاهد النفس والنفيس لظهور الدين وجهاد الكفار والمنافقين، فظهور الجهاد على هذا الوصف أمارة على صحة الإسلام وقوته في نفوس أهله، ولذا شبهه النبي صلوات الله عليه وسلم بسنام البعير الذي إذا ظهر من البعير وعظم دل على صحته وقوته.

وقد رتب الله تعالى على الجهد من الشواب العظيم ما لم يرتبه على غيره، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَحْرِفٍ تُسِيجُونَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، ثم نؤمن بالله ورسوله، ونجهدون في سبيل الله يأمولكم وأنفسكم ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيَدْخُلُكُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسِكَنٌ طِيبَةٌ فِي جَنَّتٍ عَدَنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض».

لكن الشأن في الجهاد هل يكون على المنهاج النبوي ولغاياته؟! أم يكون جهاداً لأهواء وغايات أرضية وعلى غير الطريقة الشرعية المرضية؟! كجهاد الخوارج وأهل البغي والروافض والمعتزلة ونحوهم من جانب سنت السلف الصالح وارتکب في الإسلام العظائم والقبائح.

فإن من الأمور الضرورية لشرعية الجهاد وتحقيق ثمرته:
الولاية العامة، أي: الخليفة أو نحوه من المسميات بحيث تكون له الإمامة مع القوة.

أن تكون لل المسلمين قدرة عددية ومالية وقوة عسكرية.

أن تكون المصلحة كاملة أو راجحة، والمفسدة متفية أو يسيرة.

وختاماً: أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الفوائد كما نفع بأصلها، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كشاف الموضوعات والفوائد

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٥	فائدة حول قول المؤلف «اعلم» وما فيها من الصفات
٧	العلم وتعريفه والمراد به شرعاً وأقسامه
٩	معرفة الله تعالى وما تعرف به إلى عباده
١١	أدلة التوحيد والدين والرسالة
١٢	المراد بالعمل الصالح
١٢	الدعوة إلى الله تعالى وفضلها
١٣	الصبر وأهميته
١٥	المراد بالحق وما يطلق عليه
١٦	الإيمان الكامل بالله تعالى
١٧	العناية بالدعوة إلى التوحيد
١٩	وجه سورة العصر حجة على الخلق
٢٢	وجه وجوب العلم بالمسائل الثلاث
٢٣	ما تضمنته المسألة الأولى
٢٤	ما تضمنته المسألة الثانية
٢٤	قسم الشرك
٢٤	شرك الاعتقاد والقول
٢٥	شرك العمل وأنواعه
٢٦	جوهر استحقاق الله تعالى للعبادة وحده

٢٧	ما تضمنته المسألة الثالثة
٢٩	معنى الحنف والحنفية
٢٩	معنى العبادة لغةً وشرعًا
٣١	معنى التوحيد لغةً وشرعًا
٣٢	التوحيد الذي دعت إليه الرسل
٣٣	تعريف الشرك لغةً وشرعًا وبيان نوعيه
٣٣	الفارق بين الشرك الأكبر والأصغر
٣٥	أدلة وجوب معرفة الأصول الثلاثة
٣٧	أسباب معرفة الله وقوه الإثبات به
٣٨	الأمور التي تعرف الله بها إلى خلقه
٤٠	الأدلة على وجود الله تعالى
٤١	الأدلة التي نصبها لك على توحيدك
٤٤	دلالة الآيات التي ساقها المؤلف على معرفة الله
٤٥	عبادة الله تعالى أعظم واجب على المكلفين وأنواع العبادات
٤٧	ما تتحقق به عبادة الله تعالى
٤٩	تفصيل أنواع من العبادة التي أمر الله بها وبيان الإسلام والإيمان والإحسان.
٥٠	معنى الدعاء لغةً وشرعًا وأنواعه
٥١	الخوف وأنواعه
٥٢	المحبة وأنواعها، ولوازمها
٥٣	أسباب جلب المحبة وزيادتها
٥٤	الإيابة والاستغاثة

٦٥	الذبح، وأنواعه
٦٦	النذر وأنواعه
٦٩	براهين بطلان آلهة المشركين المعبودة مع الله
٧٠	وجه الاقتصار على ثلاثة أركان الإسلام الأولى في النصوص
٧٣	تعريف الإيمان لغةً وشرعاً وأدلةه
٧٥	الإيمان بالملائكة
٧٨	الإيمان بالكتب
٨٠	الإيمان بالرسل
٨٣	الإيمان باليوم الآخر
٨٧	الإيمان بالقدر
٩١	وجه ارتباط أركان الإيمان بعضها
٩١	الفرق بين الإسلام، والإيمان، والإحسان
٩٥	قاعدة في الإسلام والإيمان إذا اجتمعا وإذا افترقا
٩٩	معرفة النبي ﷺ وما تتحقق به
١٠٠	معنى شهادة أن محمداً رسول الله.
١٠١	شهادة الله تعالى على صدق نبيه محمد ﷺ
١٠٢	خصائص النبي ﷺ
١٠٦	حقوق النبي ﷺ على الأمة.
١٠٩	معنى اسم النبي ﷺ محمد وأحمد
١١١	رقة العمر النبوى

١١٣	شدة الوعيد على الشرك وألوان عقوبته
١١٣	من أسباب السلامة من الشرك
١١٤	عظم شأن التوحيد والدعوة
١١٥	الإسراء وفرضية الصلاة وأثرهما في الدعوة
١١٦	حقيقة الإسراء وأموره المباركة
١١٧	المigration معناها وحكمها.
١١٩	بلاد الشرك وشرط جواز السفر إليها
١٢٠	فرض الجهاد ومراتبه
١٢٢	تبليغ النبي ﷺ الدين
١٢٣	دفنه ﷺ في بيت عائشة
١٢٣	بقاء دين الإسلام
١٢٤	موقف أهل السنة مع آثار النبي ﷺ
١٢٥	كمال الدين
١٣٠	الإيمان بالبعث
١٣٣	الفرق بين النبي والرسول
١٣١	وظائف الأنبياء والرسل
١٣٣	معنى الطاغوت
١٣٥	ادعاء علم الغيب
١٣٥	الحكم بغير ما أنزل الله
١٣٧	أصناف الناس في الجهاد
١٣٧	خاتمة الرسالة شرح حديث: رأس الأمر الإسلام